IUGJEPS
Vol 29, No 1, 2021, pp 83-113

ISSN 2616-2148

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية

تاريخ الإرسال (2019-09-04)، تاريخ قبول النشر (2020-01-13)

من منهج النبي-صلى الله عليه وسلم-وأساليبه في التحريض على القتال.

اسم الباحث:1*

د. غسان عيسى هرماس

1اسم الجامعة والبلد:

التربية الإسلامية- كلية العلوم التربوية-
جامعة القدس المفتوحة- فلسطين.

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Ghermas@qou.edu

https://doi.org/10.33976/IUGJSLS.29.1/2021/4

الملخص:

إنّ مِنَ المسائل المهمة التي تستدعي بحثًا علميًا جادًا اليوم مسألة التّحريض على القتال، وألزم ما تكون إذا تعددت وجهات النظر، واختلف الناس في تحديد المسئول عنها. وضابط هذه المسألة هو كتاب الله وسنة نبيّه، لذا رأيت البحث فيها تحت عنوان: (من منهج النبي - صلى الله عليه وسلم- وأساليبه في التحريض على القتال).

وجعلت بحثي هذا في فصلين: تناولت في الفصل الأول؛ تعريف التّحريض في اللغة، وعند أهل العلم، وفي القرآن الكريم، وفي الفصل الثاني؛ تحدثت عن منهج النّبيّ -صلّى الله عليه وسلم- وأساليبه في التّحريض على القتال. وختمته بجملة من النتائج أهمها: أنّ التّحريض مرتبطٌ بقرار الإمام، إلا في حالاتٍ مخصوصةٍ يحقّ لكل أحدٍ فيها التّحريض، وقد اتبعت فيه المنهج التاريخي لمناسبته هذا النوع من الأبحاث، والحمد لله رب العالمين.

كلمات مفتاحية: منهج، التحريض، القتال.

" Prophet's (May Allah's Peace and Prayer be upon him) Approach in Advocating the Holy Jihad"

Abstract:

Advocating jihad is recently one of the most important areas that needs scientific research because of the presence of various attitudes and because people differ in who controls it. The Holy Quran and the tradition of the Prophet only control this religious issue. I , therefore , decided to carry out the present research entitled" Prophet's (May Allah's Peace and Prayer be upon him) Approach in Advocating the Holy Jihad"

This research consists of two chapters. Chapter one defines the term advocate both in language and the Holy Quran, while the second chapter includes the various approaches of advocacy to fight which were used by the Prophet.

The research has some important results, one of which is the holy jihad encouragement is only controlled by the Imam's decision although in very particular situations one can take a decision about it. The historical approach was followed due to the nature of the research.

Keywords: Approach, Advocate, Jihad.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسَّلام على رسوله الأمين وبعد:

فمما يميز الإسلام عن غيره من الأديان شموليته لجميع مناحي الحياة، إذ لا تجد مسألة من مسائل الوجود إلا وله فيها كلام ورأي وحكم، الأمر الذي لا يوجد في سائر الملل والنحل، في حين تبقى شريعة الإسلام شامخة غالبة، وإنْ تغيَّرَت الأزمنة والأمكنة، فلكل مسألة مجتهدون يردونها إلى أصولها الثابتة، وقواعدها الرَّصينة، لا يلغون عقولهم ولا يتجاوزون شريعتهم.

ومن القضايا المهمة التي تثير اليوم جدلاً ونقاشًا حادًا بين النَّاس وأهل الرأي والفكر، قضية التحريض على قتال العدو. وأحسب أنَّ الجيوش لو اشتبكت وأعملت سيوفها في أعدائها لما وجد مثل هذا الجدل، غير أنَّ الحالات التي تحياها الأمة العربية والإسلامية، خاصة في فلسطين، تفرض واقعًا يختلف عن غيره، وخصوصيات لا تتكرر في سائر الثورات نظرًا لاحتلال البلاد، وانتشار الأعداء بين صفوف الناس، مما جعل القتال في كثير من الأحايين فرديًا، متعلقًا بالمرء وفهمه لمعنى الشهادة والدفاع عن الأقصى والحرائر.

مشكلة البحث: تتجلى مشكلة البحث في غياب منهج النبي صلى الله عليه وسلم حول مسألة التحريض عند كثيرين، مما أدى إلى ظهور وجهتي نظر متنافرتين بين أبناء الشعب الواحد، فمنهم من يرى أنَّ تحريض الناس على الثورة والقتال فرض عين، مهما كانت النتائج والعواقب. بينما يراه الطرف الآخر مسألة مرفوضة تماما، وبديل ذلك الحوار ثم الحوار ثم الحوار.

أسئلة البحث:

1- هل ورد ذكر التحريض في القرآن والسنة؟
2- ما المعنى المراد من التحريض؟
3- ما المنهج الذي اتبعه النبي –صلى الله عليه وسلم– في التحريض على القتال؟
4- ما الأساليب التي اتبعها النبي –صلى الله عليه وسلم– في التحريض على القتال؟
5- على من تقع مسؤولية التحريض على القتال؟

أهداف البحث:

1- تسليط الضوء على مسألة التحريض على القتال وكشف جوانبها.
2- بيان بعض جوانب منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التحريض على القتال.
3- توضيح بعض الأساليب التي اتبعها – النبي صلى الله عليه وسلم– في التحريض عليه.
4- تحديد من تقع على عاتقه مسؤولية التحريض على القتال.

أهمية البحث:

1- تتجلى أهمية البحث في أنه يكشف الغطاء عن شيء من منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التحريض على القتال، ويعرض لبعض أساليبه فيه.
2- في إتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة التحريض ما يدفع التنازع والاختلاف، ويرد الأمور إلى نصابها.
3- يبين صاحب الحق في التحريض على القتال، سواء أكان فردًا أم دولة، من خلال المواقف النبوية.

حدود البحث: لم استوعب جميع ألوان التحريض وأبوابه، وقصرته على التحريض على القتال، واكتفيت منه بالحديث عن التحريض المباشر المتمثل في الأمر القولي المباشر بالقتال أو القتل، .

منهج البحث: اتبعت في بحثي المنهج التاريخي لمناسبته هذا النوع من الأبحاث.

خطوات البحث: التزمت في بحثي الخطوات الآتية:

1. قصرت بحثي على مسألة التحريض على القتال والقتل فحسب، ولم أتجاوزه إلى أي نوع آخر من أنواع التحريض الأخرى، حتى فيما هو من باب الجهاد، كالتحريض على الإعداد والرمي والنفقة على الجهاد....
2. لم استوعب جميع المواقف النبوية التي تدل على تحريضه على القتال، وإنما ذكرت طرفًا منها وأمثلة عليها، ثم أشرت إلى ما يماثلها، وفي ذلك غناءٌ وكفاية.
3. كما أنني لم أتعرض للتحريض على القتال في القرآن الكريم إلا ضمن الآيتين اللتين ورد ذكر التحريض فيهما، أما سواهما فهو كثير في القرآن، بألفاظ مختلفة وصور متعددة وآيات كثيرة، وذلك التزامًا وتقيدًا بعنوان البحث.
4. سلكت مسلك الاختصار في الروايات التي أوردتها، وأوليت موضع الشاهد جلَّ اهتمامي، وذلك لطول الروايات وكثرة الأشعار فيها.
5. أشرت إلى مواضع الآيات من كتاب الله تعالى، بذكر اسم السورة ورقم الآية، بعد ذكرها مباشرة في المتن.
6. عزوت الروايات إلى مصادرها الأصلية، فإن كانت في البخاري ومسلم اكتفيت بالعزو لهما دون غيرهما ودون بيان الحكم لتلقي الأمة لهما بالقبول، وإلا تتبعت الرواية في كتب الحديث أو السير، وحرصت على الحكم عليها ما استطعت.
7. عزوت النصوص المنقولة إلى مصادرها الأصلية، مراعيًا تقديم الأسبق زمانًا وتأليفًا.
8. استشهدت في عدة مواضع من البحث بشيء من الشعر الذي هو ديوان العرب، ومن قبل تمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الشعر، وقد رددت كل بيت إلى قائله أو ناقله الأول.
9. علقت على الروايات الحديثية سعيًا وراء استنباط الفوائد، واستلهام الحكم، وتجلية ما غمض من ألفاظها.
10. اعتمدت الرواية الأتم طلبًا للفائدة ولو كان في بعضها ضعف، إذا كان الحديث في أصله صحيحًا، ولذا قدمت أحيانًا رواية ابن هشام في السيرة النبوية، ثم أذكر أنها مخرجة في الصحيحين أو أحدهما.
11. قد أذكر بعض الروايات الضعيفة ضعفًا يسيرًا، إذا اشتملت على فائدة تندرج تحت البحث، مبينًا ضعفَها.

خطة البحث: جعلت بحثي في مقدمة وفصلين وخاتمة، وفق الخطة الآتية:

الفصل الأول ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريفُ التَّحْرِيْضِ في اللغة، وعند أهل العلم، وتفسيرُ قول الله تعالى: {حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ}، والجمع بين المعنيين.

المبحث الثاني: لفظ التحريض في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: من منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– وأساليبه في التحريض على القتال، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: من منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– في التحريض على القتال.

المبحث الثاني: من أساليب النبي –صلى الله عليه وسلم– في التحريض على القتال.

وأنهيت بحثي بخاتمةٍ ضَمَّنْتُها أبرز النتائج والتوصيات، وفهرسًا للمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة: من المعلوم أنه لا يخلو كتاب الفقه من تناول موضوع الجهاد وفروعه، بل إنَّ كثيرًا من العلماء قد أفردوه بالتصنيف، كمحمد بن الحسن الشيباني في السير الكبير، وشرحه للسرخسي، وابن النحاس في مشارع الأشواق، ومن آخرها الكتاب القيم فقه الجهاد للقرضاوي.

غير أنَّ الذي شجعني على الكتابة في هذا الموضوع إني لم أجد من تناوله بالدراسة ضمن الحدود التي وضعتها، وإن كان الأمر لا يخلو من بعض المقالات المختصرة على الشبكة العنكبوتية التي تتناول بعض جوانبه، فيما يمكن أن أسميه دفق الخاطر، لا بحثًا علميًا منضبطًا بقواعد البحث العلمي.

هذا ما رأيت كتابته، وهو ما تيسر لي في هذا البحث المختصر، والحمد لله ربِّ العالمين.

الفصل الأول

المبحث الأول: تعريفُ التَّحْرِيْضِ في اللغة، وعند أهل العلم، وتفسيرُ قول الله تعالى:

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف:85] ، والجمع بين المعنيين

التَّحْرِيْضُ في اللغة:

إنَّ بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي رابطًا لا يكاد يَنْفَصِم، بل إنَّ الغالبية العظمى لتعريفات المصطلحات إنَّما تُنتزع من معانيها اللغوية، ولتجلية معنى التَّحْريضِ في معناه المعروف لا بد من الوقوف على معناه اللغوي المنتزع منه.

وَبِرَدِّ التَّحريض إلى ثُلاثِيِّهِ المأخوذ منه نجدُ أنَّ أصله يرجع إلى (حَرَضَ)، والحَرَضُ والحَارِضُ: الفاسدُ في جسمه وعقله.[1]

وسائر معانيه اللغوية التي ذكرها علماء اللغة ترجع إلى هذا المعنى، وإنما تفترق في الصياغة والتعبير عن المعنى الواحد بأساليب العلماء المختلفة، وهي من باب اختلاف التَّنوُّع لا اختلاف التَّضاد، وسأذكر بعضًا منها تأكيدًا لما تقدم قوله.

قال الزَّجَّاج: الحَارِضُ: الذي قد قارب الهلاك.[2]

وقال الجَوهري: رجلٌ حَرَضٌ، أي فاسدٌ مريضٌ يُحْدِثُ في ثيابه، واحدُه وجمعُه سواءٌ. وقال أبو عمرو: الحَرَضُ: الذي أذابه الحزنُ أو العشقُ، وهو في معنى مُحْرَضٍ. وقد حَرِضَ بالكسر. وأَحْرَضَهُ الحُبُّ، أي أفسده[3].

وقيل: هو الَّذِي لَا يُرْجَى خَيْرُه وَلَا يُخَاف شَرُّه وهم الحُرْضانُ والأَحْراض[4].

ثم يدور كلام العلماء بعد ذلك حول اشتقاقات هذا اللفظ وإفراده وتثنيته وجمعه،

قَالَ الفرّاء يُقَال: رجل حَرَض، وَقوم حَرَض وَامْرَأَة حَرَض، يكون مُوَحَّداً على كلّ حَال، الذّكر وَالْأُنْثَى والجميع فِيهِ سَوَاء،..... وَمن الْعَرَب مَنْ يَقُول للذَّكَر حارِض، وللأنْثَى حارضة، ويُثَنَّى هَا هُنَا ويُجْمع: لأنّه قد خرج على صُورَة فاعِل، وفَاعِل يُجمَع.

وقَالَ: وَأما الحَرَضُ فتُرك جَمْعُه لِأَنَّهُ مَصْدر بِمَنْزِلَة دَنَفٍ وضَنًى، يُقَال: قومٌ دَنَفٌ وضَنًى، وَرجل دَنَف وضَنًى[5].

التَّحْرِيْضُ عند أهل العلم:

ولست أستثني أهل اللغة فهم أصل في ذلك، وبهم بدأت، وإنما قصدت التوسع في بيان ما ترد إليه هذه اللفظة، فالتحريض عند إمام اللغة الخليل بن أحمد الفَرَاهيدي هو: التَحضيضُ[6].

وهو معنى عام يدخل في كل شيء، ويتناول كل شيء، وتتنازعه جوانب الحياة كلها بوجه من الوجوه.

لكن القارئ لا يكاد يجد كتاب لغةٍ أو معجمًا من معاجم العربية يتعرض لمعنى التَّحريض إلا وهو يُعَقِّبُ على ذلك بتفسير معنى التَّحريض في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال:65]، ولذلك تركز تفسير أهل التفسير واللغة لمعنى التحريض على الحث على القتال والحضّ عليه.

وهو المراد في بحثي هذا، والذي عنونته بـ (من منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التحريض على القتال).

قَالَ الزّجّاج: تَأْوِيله حُثّهم على الْقِتَال، وَتَأْوِيل التَّحْرِيض فِي اللُّغَة: أَن تَحُثَّ الإنسانَ حَثّاً يعلم مَعَه أَنَّه حَارِض إنْ تَخَلَّف عَنهُ[7].

---

[1] الأزهري، تهذيب اللغة (ج121/4). والأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس(ج261/2).

[2] الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه(ج423/2). والأزهري، تهذيب اللغة(ج120/4). وانظر ابن فارس، مجمل اللغة (ج226/1). وابن منظور، لسان العرب (ج133/7).

[3] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(ج1070/3).

[4] ابن سيده، المخصص(ج297/1).

[5] الأزهري، تهذيب اللغة(ج120/4).

[6] الفراهيدي، كتاب العين(ج103/3). وابن منظور، لسان العرب(ج133/7).

وقال الجَوهريُّ: والتَّحريض على القتال: الحثُّ والإحماء عليه[8].

وعرفته الموسوعة الفقهية الكويتية بأنه: الحث على القتال وغيره، وهو يكون في الخير والشر، ويغلب استعماله فيما يكون الحث فيه لطرف[9].

والحث على القتال هو المراد هنا، لأن المؤمنين إن تخلفوا عن القتال مع النبي صلى الله عليه وسلم فقد خالفوا أمره واستحقوا العقاب، وأهلكوا أنفسهم في الدنيا بانهزامهم، وفي الآخرة بعصيانهم نبيهم صلى الله عليه وسلم،

(قال ابن فارس: وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَالَفَ فَقَدْ أَفْسَدَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: 65]، لِأَنَّهُمْ إِذَا خَالَفُوهُ فَقَدْ أُهْلِكُوا).[10]

تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: 85]

تحمل كلمة(حَرَضًا) هنا المعنى اللغوي بحقيقته والذي يعنى الفساد، فيعقوب عليه السلام لما حمل إليه أبناؤه خبر احتجاز ولده بنيامين، ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: 84]، ولعل كلمة كظيم تفصح عن كبير الهمّ والحزن الذي اعترى يعقوب عليه السلام، قال ابن جرير الطبري: (فهو كظيم)، فهو مكظوم على الحزن يعني أنه مملوء منه ممسك عليه لا يبينه[11]، تلك حاله التي صار إليها: الإنزواء والعزلة، والفكر الدائم، وأعظم من ذلك امتلاؤه حزنًا وهمًا على فقد ولديه يوسف عليه السلام وبنيامين، وهي أمور إذا تَلَبَّسَ المرءَ منها أمرٌ واحدٌ أهلكه، فكيف إذا اجتمعت كلها عليه.

وكان أول ما بدا مِنَ الحَرَضِ والفساد على يعقوب عليه السلام ذهابُ الحُزن بعينيه وابيضاضهما، الأمر الذي حمل أبناءه على القول له: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: 85]، فحاله لا تحتمل من وجهة نظرهم إلا أحد خيارين: أن يفسد عقله، أو أن يموت.

كما قال العَرْجِي:

إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي ... حَتَّى بَلِيْتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ[12].

فلم يخشوْا عليه فقط سوء الحال، بل خافوا عليه من الموت نتيجة اهتمامه، وانشغال باله على ولديه، وحزنه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

والمعنى الاصطلاحي وإن ابتعد عن المعنى اللغوي إلا أن قواعد اللغة العربية وفهمنا لها يجمع بينهما، ويزيل ما قد يعلق في الأذهان من لَبْسٍ، وقد وجدت أنَّ الشيخ الشعراوي – رحمه الله – في تفسيره لقوله تعالى﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال:65]، جمع بين المعنيين جمعًا لطيفًا في صورة مشرقة بهية، تزيل كثيرًا من سوء الفهم لكثير من آيات القرآن الكريم التي قد يقف عندها بعض الناس حائرين في فهم وجهها اللغوي وإسقاطه على الوجه الاصطلاحي، وأنا هنا أسوق كلامه مختصرًا، قال رحمه الله:

---

[7] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه(ج2/423).

[8] الجوهري، الصحاح (ج3/1070).

[9] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية(ج10/195).

[10] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج2/41).

[11] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(ج16/215).

[12] العَرْجِي، ديوان العَرْجي(ص5).

ولكن هل معنى «حرِّض» هنا يعني: قرب المؤمنين من الهلاك؟ نقول: لا؛ لأن ما يسمونه الإزالة، وهي أن يأتي الفعل على صورة يزيل أصل اشتقاقه، عندما تقول: «قشَّرت البرتقالة» أي أزلت قِشْرَتها.

وكذلك قولنا: «مَرَّض» الطبيب فلانًا وليس المعنى أنَّ الطبيب قد أحضر له المرض، ولكن معناها: أزال المرض.

ويأتي معنى الإزالة مرة بتضعيف الحرف الأوسط مثل «حرَّض» و «قشَّر»، ومرة تأتي بهمزة، فتعطي معنى الإزالة، فإذا قلت: «أعجم الكتاب» فمعناها أنه أزال عجمته.

ومعنى الآية الكريمة: اطلب منهم يا محمد أن يزيلوا قربهم من الهلاك بالقتال[13].

وهكذا نجد أنَّ المعنى الاصطلاحي وإن فارق المعنى اللغوي ظاهريًا إلا أنه اشتمل عليه، فالفساد والخسران والهلاك واقع لا ريب بمن لا يُبَكِّرُ بالتحضيض والتهييج للقتال والبروز له، وهو ما ذكَّرَ الله عز وجل به المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: 38–39]، ولعل فيما يرويه ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا ما يفيد ذلك، فعنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَة، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[14]، ولا يخفى ما تحمله كلمة(ذلاً) من معاني الخسران والخيبة وألوان الهزيمة والضياع.

المبحث الثاني: لفظ التحريض في القرآن الكريم

قَدَّمتُ القولَ بأنَّ التَّحريض يدخل في جميع جوانب الحياة بل إنه مما لا يستغني عنه أحدٌ، فهو جزءٌ من النَّفس البشرية، والكل منشغل به بوجه من الوجوه، فالوالد يحرِّض ولده، والمعلم يحرِّض تلاميذه، والبائع يُحرِّض المشترين، والقائد يُحرِّض جنوده، وهكذا دواليك.... ومن لا يهتم بالتحريض فهو فاشل خسران، وهل الحوافز والجوائز والغنائم والعطايا والدرجات إلا بعض ألوان التَّحريض.

وقد ورد التحريض في القرآن الكريم بصيغ متعددة كثيرة، وفي جوانب عديدة، تشمل جميع الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم، فإذا كان الفعل مأمورًا به تناوله بالحَضِّ عليه وفعله، وإذا كان من المنهيات حَضَّ على تركه واجتنابه، ولست بصدد تفصيل ذلك، فالأمر أوسع من أنْ يجمعه بحثٌ صغير، بل يحتاج إلى جملة من الرسائل العلمية الكبيرة لتستوعبه، وما أحسبها تستوعبه، فكلام الله أعظم وأشمل، والوقوف على دقائقه ومضامينه مما تفنى فيه الأعمار والأجيال والأزمان كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف:109]، وقوله تعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان:27].

[13] الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر) (ج 4792/8– 4793). بتصرف.

[14] رواه [السجستاني، سنن أبي داود برقم، الإجارة/ في النهي عن العينة، 274/3: رقم الحديث 3462]. وقد صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ج42/1: رقم الحديث 11.

إلا أنني رأيت أنْ أقف في هذا المبحث على الآيات التي ذكرت لفظ التحريض الصريح فقط لصلته المباشرة الواضحة بموضوع البحث.

وكنت قد تحدثت في المبحث السابق عن معنى الحَرَضِ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: 85]، وسأذكر هنا المواضع الأخرى في القرآن الكريم.

ويمكن القول بأن التَّحريض لم يَرِدْ بلفظه الجَلِيّ في القرآن الكريم إلا في موضعين اثنين:

أولهما: قول الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء:84].

وثانيهما: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال:65]

ومن الواضح أنَّ الآيتين تتحدثان عن القتال، وأنَّ معنى التحريض فيهما واضح لا يحتاج إلى بيان فهو: التحضيض، والتهييج، والإثارة للقتال.

وفي هذه الصفحات القليلة سأحاول الوقوف على بعض اللفتات الجميلة في تفسير هاتين الآيتين:

تفسير الآية الأولى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء:84]

ترتبط هذه الآية ارتباطًا وثيقًا بما تقدمها من الآيات، فالآيات السابقة تتحدث عن الحفاظ على المجتمع المُسلم وجماعة المسلمين ودولتهم[15]، فيطلب الله منهم الحذر والاحتياط، وذلك من خلال النُّفور فرادى وجماعات، على الرغم من وجود من لا يعرفون غير لغة المغنم، ويَحُض المؤمنين الصادقين على القتال: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ [النساء: 74]، ويعدهم بالأجر العظيم، وكيف يتأخر مسلم صادق عن نصرة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وشتان بين مَنْ يقاتل في سبيل الله وبين من يقاتل في سبيل الطاغوت، ويؤكد الحديث عن الذين يؤثرون الحياة الدنيا ويجبنون، علمًا أن الموت لن يغادر أحدًا، فالأمر كله بيد الله، ثم يأتي التوجيه الرَّباني المزلزل الذي يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال ولو كان وحده: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء:84]، وإذا كان التكليف في أصله فرديًا، إلا أنه يعمُّ حتى يشمل الأمة جمعاء، والخطاب وإنْ تَوَجَّه للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه يلزم كلَّ مسلم، وكيف يؤمر النبي عليه الصلاة والسلام ولا تؤمر الأمة، وكيف يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم وتتراخى وتتكص الأمة، ومن المعلوم (أنَّ ما أَثَّر في تفكيك المجتمع الأخصّ أثر في الجماعة العامة وهي مفسدة، والمفاسد واجبة الدفع)[16].

[15] يرى الدكتور فضل بن عبد الله مراد أن حفظ الجماعة العامة هو المقصد السادس الضروري للشريعة. انظر عبدالله مراد، فضل، المقدمة في فقه العصر (ج75/1).

[16] عبدالله مراد، المقدمة في فقه العصر (ج75/1).

ويرى العلامة ابن عاشور أنَّ هذه الآية وهذا الأسلوب الذي عرضته ما هو إلا (طَرِيقٌ مِنْ طُرُقِ الْحَثِّ وَالتَّحْرِيضِ لِغَيْرِ الْمُخَاطَبِ، لِأَنَّهُ إِيجَابُ الْقِتَالِ عَلَى الرَّسُولِ، وَقَدْ عُلِمَ إِيجَابُهُ عَلَى جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [النِّسَاء: 74]، فَهُوَ أَمْرٌ لِلْقُدْوَةِ بِمَا يَجِبُ اقْتِدَاءُ النَّاسِ بِهِ فِيهِ. وَبَيَّنَ لَهُمْ عِلَّةَ الْأَمْرِ وَهِيَ رَجَاءُ كَفِّ بَأْسِ الْمُشْرِكِينَ، فَ (عَسَى) هُنَا مُسْتَعَارَةٌ لِلْوَعْدِ. وَالْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا كُفَّارُ مَكَّةَ، فَالْآيَاتُ تَهْيِئَةٌ لِفَتْحِ مَكَّةَ، وَجُمْلَةُ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا تَذْيِيلٌ لِتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ أَوِ الْوَعْدِ)[17].

كما يحاول الأستاذ سيد قطب رحمه الله من خلال الآية السابقة أن يجتهد في الكشف عن خفايا وخبايا النفس البشرية في كل حين، فيعدُّ منها:

1) يبرز لنا مدى الخلخلة في الصف المسلم وعمق آثار التبطئة والتعويق والتثبيط فيه حتى لتكون وسيلة الاستنهاض والاستجاشة، هي تكليف النبي– صلى الله عليه وسلّم– أن يقاتل في سبيل الله– ولو كان وحده– ليس عليه إلا نفسه مع تحريض المؤمنين.
2) كما يبرز لنا مدى المخاوف والمتاعب في التعرض لقتال المشركين يومذاك.. حتى ليكون أقصى ما يُعَلِّقُ الله به رجاء المؤمنين: أن يتولَّى هو سبحانه كَفَّ بأس الذين كفروا فيكون المسلمون ستارًا لقُدرته في كف بأسهم عن المسلمين.... مع إبراز قوة الله– سبحانه– وأنه أشد بأساً وأشد تنكيلاً.... وإيحاء هذه الكلمات واضح عن قوة بأس الذين كفروا يوم ذاك والمخاوف المبثوثة في الصف المسلم.
3) كذلك تبرز لنا حاجة النفس البشرية وهي تُدْفَعُ إلى التكاليف التي تشق عليها، إلى شِدَّة الارتباط بالله وشِدَّة الطمأنينة إليه وشِدَّة الاستعانة به وشِدَّة الثقة بقدرته وقوته.. فكل وسائل التقوية غير هذه لا تجدي حين يبلغ الخطر قمته[18].

ويربط الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله بين الماضي والحاضر برباط وثيق في تقرير حقيقة لا يجوز بحال من الأحوال إغفالها أو التخلي عنها وهي أنَّ القوة تَدْفَعُ القوةَ، أو ما يعرف اليوم بـ (ميزان الرعب) وتعادل كفتيه، فيقول:

وَحَاصِلُ الْمَعْنَى أَنَّ تَحْرِيضَ النَّبِيِّ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ مَعَهُ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ بِبَاعِثِ الْإِيمَانِ وَالْإِذْعَانِ النَّفْسِيِّ دُونَ الْإِلْزَامِ وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى الِاسْتِعْدَادِ لَهُ وَتَوْطِينِ النَّفْسِ عَلَيْهِ وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يُوَطِّنُ نُفُوسَ الْكَافِرِينَ عَلَى كَفِّ بِأَسِهِمْ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَبُعْدِهِمْ لِتَرْكِ الِاعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ ; لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَدْعَى إِلَى تَرْكِ الْقِتَالِ مِنَ الِاسْتِعْدَادِ لِلْقِتَالِ[19].

وذلك لأن القوة لا تدفع إلا بالقوة، والدم لا يدفع إلا بالدم، والنصر لا يستجلب إلا بالجَلَبَةِ وأصوات المدافع، وهذا ثابت في عقل وفكر كل أمة على وجه الأرض تريد الحياة كريمة، وقديمًا قالت العرب: (بعض القتل إحياء للجميع) وهو في معنى المثل (القتل أنفى للقتل)[20]، وأجمل من ذلك قول أبي تمام :

وأَخَافُكُمْ كَيْ تُغْمِدُوا أَسْيَافَكُم إِنَّ الدَّمَ المُغْتَرَّ يَحْرُسُهُ الدَّمُ[21].

فالاستعداد والتضحية هما سياج الأمة من هجمات الأعداء، فكيف يبخل امرؤٌ بماله ودمه وبلده محتل، وخيراته منهوبة، وعرضه مُهان، وأي حياة تلك التي يحياها الإنسان في ظل القيود والعبيد.

---

[17] ابن عاشور، التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)(ج5/142–143).
[18] انظر: قطب، في ظلال القرآن(ج2/725).
[19] رضا، تفسير القرآن الحكيم(تفسير المنار)(ج5/247). وانظر: المراغي، تفسير المراغي(ج5/107).
[20] الميداني، مجمع الأمثال(ج1/105).
[21] أبو تمام، ديوان أبي تمام (ج1/207).

إنَّ فهم الأستاذ سيد قطب رحمه الله لهذا المعنى، وإدراكه لحقيقة الوجود ومقوماته هو الذي حمله على نظم قصيدة بديعة مهداة إلى الشعب الفلسطيني المنافح عن حقه وترابه وكرامته والتي منها قوله:

عَهْدٌ عَلَى الأَيَّامِ أَلاَّ تُهْزَمُوا فالنَّصْرُ يَنْبُتُ حَيْثُ يُهْرَاق الدَّمُ
فِي حَيْثُ تَعْتَبِطُ الدِّمَاءُ فَأَيْقِنُوا أَنْ سَوْفَ تَحْيَوْا بِالدِّمَاءِ وَتَعْظُمُوا .
تَبْغُونَ الاسْتِقْلالَ تِلْكَ طَرِيْقُهُ وَلَقَدْ أَخَذْتُمْ بِالطَرِيْقِ فَيَمِّمُوا
وَهُوَ الجِهَادُ حَمِيَّةٌ جَشَّامَةٌ ما إنْ تَخَافوا مِنَ الرَّدَى أَوْ تَحْجُمُوا
إنَّ الخُلودَ لِمنْ يُطِيْقُ مُيَسَّرٌ فَلْيَمْضِ طُلاّبُ الخُلُودِ ويَقْدُمُوا
وَطَنٌ يُقَسَّمُ لِلدَّخِيْلِ هَدِيَّةً فَعَلامَ يُحْجِمُ بَعْدَ هَذا مُحْجِمُ ؟[22].

إنَّ هذا المعنى العظيم الذي تصغر بجانبه كل التضحيات، ويغشى كل المقولات المهزومة فيشتتها ويبعثرها ويطردها من عالم الكرامة والحرية والرجولة.

أما عشاق الملذات الرخيصة، وطلاب الحياة الذليلة، فهم كسكان القبور لا حياة فيهم، ولا يعنيهم شيء من أمر الآخرين، وتلك أنانية وتفاهة وذِلَّة لا يقبلها أَبِيٌّ:

إنَّ نَفْسِي لَيْسَ تَرْضَى، أَيُّ نَفْسٍ تَقْبَلُ العَيْشَ كَسُكَّانِ القُبُوْر[23]

ولذا كان هذا الصنف من المتثاقلين مخذولا مهزومًا ولو كثر عدده، فهو محروم من نصر الله وتأييده، لأن للنصر رجاله وشروطه. ثم إنَّ الذِّلةَ لا يرفعها عن الأمة إلا أشرافها وأبطالها، الذين يقدمون الأرواح على الأرباح، والخنادق على الفنادق.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ تحريض على القتال في أعلى صوره، يحمل صاحبه على الإقدام واقتحام الردى، مع أنَّ احتمالية القتل كبيرة، وكيف ينتصر الفرد الواحد على الجمع الكثير؟ لكنه التكليف والتحريض وبعث الهمة في النفوس الراكدة والقلوب التائهة.

تفسير الآية الثانية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنفال:65].

هذه الآية من سورة الأنفال، تلك السورة التي تتحدث عن القتال من جوانب كثيرة مستعرضة أحداث معركة بدر الكبرى، أولى معارك الإسلام، فتتحدث عن فكرتها وبدايتها ونهايتها وما بين ذلك، وتصورها تصويرًا دقيقًا يكشف عن حيثيات سير المعركة، كما تتناول جوانبها الإنسانية فتصف المقاتلين وطبائعهم البشرية في حال القوة والضعف، وما يجب أن تكون عليه نفسية المؤمن في حالي الحرب والسلم وهي جوانب كثيرة .

ولعل أبرز الآيات التي تسترعي النظر وتثير الفهم في سورة الأنفال هذه السورة هذه الآية التي بين أيدينا والتي تأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يحرض المؤمنين على القتال، مهما كانت قوة الأعداء، ولو كان العدد عشرة أضعاف.

وتكمن فائدة التحريض في الوصول بالمجاهد إلى استشعار العزة وأنه أقوى من عدوه مهما بلغ عدد هذا العدو، وهذا المعنى هو المراد هنا، وهو روح جريئة يبثها النص القرآني في قلوب المجاهدين، لتنتصر القلة المؤمنة على الكثرة الجاحدة، فيصبح الأمر في ضمير القلة يقينا لا يزول، وعقيدة لا تنثلم كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ

[22] انظر: قطب، ديوان سيد قطب(ص 279–280).

[23] قطب، ديوان سيد قطب(ص 37).

قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:249]. فهم إن لم يحاربوا أهل الكفر سوف يحيط بهم الهلاك في الدنيا وفي الآخرة. والله سبحانه وتعالى يريد لهم الحياة الآمنة الكريمة في الدنيا والجنة [24].

إنَّها معركة بدرٍ الكبرى، إنَّه اللقاء الرئيس الأول مع قريش، صاحبة العَدَدِ والعُدَدِ، العازمة على القضاء التام على المسلمين، دولةً وأفرادًا، فإما أنْ تكون أو لا تكون، وهو منطوق قوله صلى الله عليه وسلم وهو يهتف بربه جل وعلا: (اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ)[25]، وكيف يكون النصر وقد أقبلت قريش بثقلها وصناديدها في كثرة قاهرة، وقيادة مجربة، لتفني قلة مؤمنة، هي دون الثلث في العدد والعدد، لكن هذه الثلة فريدة في نوعها، معتمدة على ربها، واثقة بنبيها، صابرة محتسبة، وفي ذلك كفاية وغناء للنبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا يطمئن الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قائلاً له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأنفال: 64].

يقول سيد قطب رحمه الله: ويقف الفكر ليستعرض القوة التي لا رَادَّ لها، ولا مُعَقِّبَ عليها– قوة الله القوي العزيز– وأمامها تلك القوة الضئيلة العاجزة الهزيلة– التي تتصدى لكتائب الله– فإذا الفرق شاسع، والبَوْنُ بعيد. وإذا هي معركة مضمونة العاقبة، معروفة النِّهاية، مقررة المصير.. وهذا كله يتضمنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[26].

ويأتي النداء الثاني في الآية التي بين أيدينا (لِلتَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْكَلَامِ الْوَارِدِ بَعْدَ النِّدَاءِ وَهَذَا الْكَلَامُ فِي مَعْنَى الْمَقْصِدِ بِالنِّسْبَةِ لِلْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهُ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَكَفَّلَ اللَّهُ لَهُ الْكِفَايَةَ، وَعَطَفَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِسْنَادِ الْكِفَايَةِ إِلَيْهِمْ، احْتِيجَ إِلَى بَيَانِ كَيْفِيَّةِ كِفَايَتِهِمْ، وَتِلْكَ هِيَ الْكِفَايَةُ بِالذَّبِّ عَنِ الْحَوْزَةِ وَقِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ)[27].

(ومن ثم يأتي الأمر بتحريض المؤمنين على القتال– في سبيل الله– وقد تهيأت كل نفسٍ، واستعد كل قلبٍ واشتدَّ كل عَصَبٍ، وتحفَّزَ كل عِرْقٍ، وانسكبت في القلوب الطمأنينة والثقة واليقين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾....حرِّضهم وهم لعدوهم وعدو الله كفء، وإن قل عددهم وكثر أعداؤهم وأعداء الله حولهم)[28].

وفي الآية عدة فوائد أهمها:

1) حث المؤمنين على القتال وتحريضهم عليه، وما ذلك إلا لأهمية التَّحريض الذي يبعث النشاط في القلوب الخاملة، والثبات في الأقدام المتزلزلة، والجرأة والإقدام في كل من تحدثه نفسه بالتراجع.
2) أما العدد الكثير فمع دوره الرئيس في حسم كثير من الصراعات والمعارك إلا أنه يتراجع عن دوره ويتأخر عن تحقيق النصر إذا قوبل بالصبر والإيمان وتلك صفة تتجلى في صراع المؤمنين الصادقين مع أعدائهم، وهي صورة متكررة كثيرًا في معارك المسلمين طوال تاريخهم الطويل.
3) إن الأعداد التي حملتها هذه الآية أعداد مذهلة في مقابلة بعضها بعضًا، عشرون صابرون يغلبوا مائتين، إنه فارق كبير وبون شاسع بين الرقمين، وهل يعقل أن يهزم الواحد عشرة، لكنه الصبر إذا اتخذته الفئة القليلة المؤمنة درعا لها، (وهذه النسبة.. واحد لعشرة.. هي الأصل في ميزان القوى بين المؤمنين الذين يفقهون والكافرين الذين لا يفقهون.. وحتى في أضعف حالات المسلمين الصابرين فإن هذه النسبة هي: واحد لاثنين:

[24] الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج4793/8).
[25] رواه [مسلم، صحيح مسلم، الجهاد والسير/الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ج241/3، رقم الحديث 1763/58].
[26] قطب، في ظلال القرآن (ج1549/3).
[27] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج10/ 66).
[28] قطب، في ظلال القرآن (ج1549/3).

﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[الأنفال: 66].[29]

4) وفي الآية إشارة إلى ضرورة انتقاء الجيش، من المؤمنين (منكم) الصابرين (صابرون) قال ابن عاشور: وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى تَوَخِّي انْتِقَاءِ الْجَيْشِ، فَيَكُونُ قَيْدًا لِلتَّحْرِيضِ، أَيْ: حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ لَا يَتَزَلْزَلُونَ، فَالْمَقْصُودُ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ ضَعِيفُ النَّفْسِ فَيَفْشَلُ الْجَيْشُ..... مَعَ الْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ ثَبَاتَهُمْ لَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ حَالَةِ عَدَدِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّ الْعَادَةَ أَنَّ زِيَادَةَ عَدَدِ الْجَيْشِ تُقَوِّي نُفُوسَ أَهْلِهِ، وَلَوْ مَعَ كَوْنِ نِسْبَةِ عَدَدِهِمْ مِنْ عَدَدِ عَدُوِّهِمْ غَيْرَ مُخْتَلِفَةٍ، فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ قُوَّةً لِنُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ تدفع عَنْهُم وَهن اسْتِشْعَارِ قِلَّةِ عَدَدِ جَيْشِهِمْ فِي ذَاتِهِ..[30]

الفصل الثاني

من منهج النبي – صلى الله عليه وسلم– وأساليبه في التحريض على القتال.

لما كان التَّحريْضُ على القتال واجبًا من الواجبات، وضرورة من الضرورات، إذ فيه بعث المعاني الخافية، والهمم الخافتة، وتحريك المشاعر المتثائبة، وتحفيز العواطف المُتَرَهِّلَةِ، كما أنَّ له دورًا عظيمًا في إدارة دفة المعركة وتحويل الهزيمة إلى نصر. الأمر الذي كان يفقهه النبي صلى الله عليه وسلم، ويحسن إدارته على أكمل وجه، وله فيه تدابير، ومنهج بَيِّنٌ، وأساليب مختلفة. وقد رأيت أن أجعل هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول

من منهج النبي – صلى الله عليه وسلم– في التحريض على القتال.

ينطلق الحديث عن منهج النبي – صلى الله عليه وسلم – في التحريض على القتال من خاصيةٍ هي من أبرز خصائص هذا الدين، وهي خاصية الشمول، التي تتميز بها كل جوانبه، ولذلك فإن التحريض في مجاله المخصوص – القتال – يتميز بهذه الخاصية أيضًا، ويتناول جميع جوانبها، وعليه فلا بد من الحديث عن ذلك من نواح عدة أهمها:

من حيث الزمن: يمكن القول إنَّ التَّحريض على قتال العدو وقتله يكون في جميع مراحل القتال، قبل بَدْئِهِ، وخلاله، وفي آخره، وهو ما يمكن أن نجده في سنة النَّبي صلى الله عليه وسلم. ولا غَرْو فالقتال يحتاج إلى من يُحَرِّضُ عليه في جميع مراحله، لأنَّ التحريض أحد أسباب النجاح وكسب الحروب.

فأما قبل القتال: فهي مرحلة الإعداد وتسبق القتال بزمن، حتى تشارك الناس في سِلْمِهم واستقرار أحوالهم، ومعلوم أنَّ الأمة الحيَّة هي تلك الأمة التي تبقى مستيقظة واعية لكل ما يدور حولها، وتبقى عيونها مفتحة على الثغور، وأياديها قابضة على الزناد، فمتى غفلت هلكت، وقد تحدث القرآن الكريم عن القتال بإشارات لطيفة قليلة في المرحلة المكية التي لم يكن قد شُرع فيها القتال، فورد ذكره في عدة سور منها: المزمل والعاديات، وكأنه إعدادٌ مبكرٌ من الله – سبحانه – للمسلمين وتنبيه لهم على مسألة واقعة لا محالة في قابل الأيام، فعليهم التنبه والتهيؤ لها ولو من باب الإعداد النفسي.

ولم يغفل النبي– صلى الله عليه وسلم– ذلك، فوجه وعظه وتحذيره في أيام سلمه إلى تلك القضية المهمة، فنهى المسلمين عن ترك الجهاد وذلك في قوله: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ)[31]، وفي النهي عن ترك الجهاد حض عليه، والمراد أنَّ سيف الإسلام يجب أن يبقى مشرعًا، لا للقتل والتمثيل، بل لإزهاق الباطل، وإرهاب العدو، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ

[29] قطب، في ظلال القرآن (ج1550/3).

[30] ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج66/10–67).

[31] تقدم تخريجه في (ص8).

ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[الأنفال: 60]. وفي قوله– صلى الله عليه وسلم– لما مَرَّ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ لهم: (ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟» ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»)[32]، وفي ذلك حثٌّ للمسلمين على التدرب والاستعداد، وقضاء أوقات فراغهم فيما يفيد وينفع ويعين على دفع صولة الباغي متى لزم الأمر، ووقع الاعتداء.

والناظر في كتب الحديث الشريف يجدها زاخرة بأحاديث النبي– صلى الله عليه وسلم – التي تتحدث عن فضل الجهاد والإنفاق في سبيله و... إلى غير ذلك مما فيه دلالة بيّنه على تحريضه – صلى الله عليه وسلم – على القتال قبل وقته، وما ذلك إلا لإبقاء الأمة حية، قادرة على كل مواجهة أنَّى ومتى كانت.

وأما التحريض أثناء القتال: فينحصر زمانه من لحظة الخروج إلى القتال حتى انتهاء جولاته بنصر أو هزيمة، أو غير ذلك من النهايات التي تختم بها الحروب. وهي لحظات حاسمة يُبْذَلُ فيها التحريض وتُسَعَّر نيرانه حتى يَصْطَلي بها كل المقاتلين، فذاك أوقع في نفوسهم، وأشجع لهم، وألزم على ثباتهم في ساحات اللقاء، ثم هو موضع التحريض الحقيقي، ولا يتم الأمر إلا به، وقد كان النبي حريصًا عليه مؤججًا له، خاصة في الغزوات التي قادها، ومنها قوله للصحابة يوم بدر: (قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)[33]، والأمثلة بعد ذلك كثيرة، وفي البحث منها يما يغني عن تكراره هنا.

وأما بعده: فهي معركة بعد معركة، وقتال جديد بعد قتال انقضى، وكأنَّ الزمن واحد لا يكاد ينفصم، ومن ذلك ندبه الناس للخروج في إثر قريش بعد غزوة أحد، والتي عرفت بغزوة حمراء الأسد، وقد اشترط لها ألا يخرج معه إلا من شهد أحدًا، ولا يخفى ما في ذلك من تحريض لهذه الثلة المكلومة النازفة، وما ذلك إلا لإرهاب العدو، الأمر الذي جعل قريشًا تتراجع عن عزمها العودة للإجهاز على المسلمين[34].

ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله بعد الخندق: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)[35].

أما من حيث النوع: فيبرز منهجه – صلى الله عليه وسلم– في التحريض على القتال من خلال استخدامه لأربعة أنواع عرفها علم الحديث، وهي: القول، والفعل، والإقرار، والصفة، وهذه أمثلة عليها من واقع حياته– صلى الله عليه وسلم–:

ففي كلامه: وهو كثير جدا لا تكاد تخلو منه موقعة، ومثاله قوله في غزوة بدر: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُقَاتِلُهُمْ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ)[36].

وأما في فعله: فقد كان يتقدم الجيش ويتلقى العدو بوجهه، ويقاتل على بغلته، ويقتل صناديد الكفر كقتله لأبيّ بن خلف في غزوة أحد[37]، ويثبت منفردًا حتى يتلاحق به المسلمون، كثباته يوم حنين[38]. ويعد فعله– صلى الله عليه وسلم – من أعظم التحريض على القتال وأشده، فهو القدوة والأسوة، وإذا كان هو نفسه يجود بنفسه فكيف يحجم بعد ذلك محجم.

---

[32] رواه [البخاري، صحيح البخاري، الجهاد والسير/ باب التحريض على الرمي، ج895/2، رقم الحديث 2899].

[33] رواه [مسلم، صحيح مسلم، الإمارة/ ثبوت الجنة للشهيد، ج370/3–372، رقم الحديث 1901/145].

[34] انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج 101/2).

[35] رواه [البخاري، صحيح البخاري، الخوف/ باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، ج283/1، رقم الحديث 946] .

[36] ابن هشام، السيرة النبوية(ج627/1). البستي. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء(ص173). والسهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام(ج88/5).

[37] انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج84/2).

[38] انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج443/2–445).

وأما تقريره: فإن إقراره لفعل بعض الصحابة وموافقته لهم على فعلهم، دافع للآخرين على فعل ما يلزم إذا حضر أوانه، ومن أمثلة ذلك قَتْلُ عَصْمَاءَ بِنْتِ مَرْوَانَ[39]. وكانت امرأة سوء، قد ظهر نفاقها، واستعلى شرها واستطال، (وكانت تعيب الإسلام وتؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه ... وتقول الشعر وتطرح المحايض في مسجد بني خطمة)[40] ومن شعرها:

بِإِسْتِ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيتِ وَعَوْفٍ وَبِإِسْتِ بَنِي الْخَزْرَجِ
أَطَعْتُمْ أَتَاوِيَّ[41] مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْحِجِ
تَرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤوسِ كَمَا يُرْتَجَى مَرَقُ الْمُنْضَجِ
أَلَا أَنِفٌ يَبْتَغِي غِرَّةً فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِي

وهذه الأبيات دعوة صريحة منها إلى الثورة على النبي صلى الله عليه وسلم الذي وصفته بالغريب(الأتاوي) الذي وليتموه عليكم ثم أنتم ترتجونه كما يرتجى مرق المنضج، وأخيرًا تدعو إلى قتله بقولها:

أَلَا أَنِفٌ يَبْتَغِي غِرَّةً فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِي

وهذا غاية العدوان، فكان لا بد من قتلها.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ، أَلَا آخِذٌ لِي مِنْ ابْنَةِ مَرْوَانَ؟

فَسَمِعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ الْخِطْمِيُّ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَرَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا فَقَتَلَهَا(وكان ضريرًا) ، ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ قَتَلْتُهَا.

فَقَالَ نَصَرْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ شَأْنِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ: لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ[42].

وهذا أمرٌ عجيبٌ وفعلٌ فريدٌ من رجل ضريرٍ سمع من النبي صلى الله عليه وسلم مقالة فلم ينتظر الأصحاء لينفذوها ويكفوه أمرها، وهو المعذور غير المؤاخذ لو قعد، لكنه الانتصار للدين، ودفع شر المكابرين، وحماية النبي –صلى الله عليه وسلم– من تدبير وتحريض المنافقين.

وأما صفته: فقد كانت الشجاعة من أبرز صفاته، فكان يهجم على مواطن الخوف لا يرهب عدوًا ولا يخشى ليلاً، وقد ورد (عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً، فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الخَبَرَ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» ثُمَّ قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا» أَوْ قَالَ: «إِنَّهُ لَبَحْرٌ»[43]).

ومعلوم أنَّ قوله صلى الله عليه وسلم، وفعله، وتقريره وصفته، كلها إن تعلقت بأمر القتال عُدَّت تحريضًا عليه لسائر المسلمين، وعنصرًا من أهم عناصر التقدم في ساحات القتال وبذل الروح والمال فيه. وعلى الرغم من تلك الفجوة الزمنية بيننا وبين رسول الله

---

[39] كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن قتل النساء لكنه أمر بقتل بعض النساء اللواتي أسرفن في المكر للإسلام ومنهن عصماء هذه، وكذلك امرأة يهودية من بني قريظة أمر بقتلها مع من قتل من رجال بني قريظة وذلك لأنها طرحت الرَّحا على خلَّاد بن سُويد فقتلته، انظر قصتها في: ابن هشام، السيرة النبوية(ج2/233–244).

[40] الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد(ج6/21).

[41]أتاوي: هو الرجل الغريب. الفيروزآبادي، القاموس المحيط(ص1257).

[42] انظر تمام القصة في: الواقدي، المغازي(ج1/172–173)، وابن هشام، السيرة النبوية(ج2/636–638)، وابن سعد، الطبقات الكبير(ج2/25، ج4/317). و[القضاعي، مسند الشهاب، لا ينتطح فيها عنزان، ج2/46–47: برقم856–858]. اليعمري، عيون الأثر(ج1/340) كلها من طريق الواقدي.

[43] رواه [البخاري، صحيح البخاري، الجهاد والسير/ باب إذا فزعوا بالليل، ج 2/933، رقم الحديث3040. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل/ باب في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتقدمه للحرب، ج4/108، رقم الحديث 2307/48] .

صلى الله عليه وسلم إلا أنَّ هدية في مجال القتال يعد محرضًا وهاديًا للمسلمين حتى في زماننا الحاضر، وسيبقى كذلك حتى آخر الزمان.

من حيث الناس: فينقسم إلى قسمين: مُحَرَّضٍ ومُحَرِّضٍ.

فأما المَحَرَّض: فيشمل العامة والخاصة، وهو ما كان من منهجه –صلى الله عليه وسلم– في التحريض، فكان يوجه تحريضه **تارة لجماعة الجيش،** كفعله في الغزوات والسرايا، وهو ما كان يواظب عليه، كما حدَّث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه– أَنَّ النَّبِيَّ– صلى الله عليه وسلم– كان (إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّو...)[44]، وقوله "اغزوا" خطاب لسائر الجيش، غير مقصور على الأمير، وإضافة الغزو إلى الله وفي سبيله، زيادة في بيان المقصد من الغزو، كما فيه تحريض للمقاتلين، وتنبيه لهم: أنَّ جهادهم جهاد مبارك حميد.

وتارة يحرض فردًا واحدًا لقتلُ فرد قد عظم شرُّهُ. فإنَّ في السبق إلى قتل نفس واحدةٍ حقنًا لدماء المئات أو الآلاف، وقد سلك النبي صلى الله عليه سلم سبيل هذا القتل لمَّا بلغه أنَّ ابْن نُبَيْحٍ يَجْمَعُ له النَّاسَ لِيَغْزُوهُ، فدعا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ رضي الله عنه وقَالَ له: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيَّ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُونِي، وَهُوَ بِنَخْلَةَ أَوْ بِعُرَنَةَ، فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ. قَالَ: إِنَّكَ إِذَا رَأَيْتُهُ أَذْكَرَكَ الشَّيْطَانَ، وَآيَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتُهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً.

قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا سَيْفِي، حَتَّى دُفِعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي ظُعُنٍ [45] يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلًا، وَحَيْثُ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْقُشَعْرِيرَةِ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ، وَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُجَاوَلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنْ الصَّلَاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ، أُومِئُ بِرَأْسِي، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ الْعَرَبِ سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ، فَجَاءَكَ لِذَلِكَ.

قَالَ: أَجَلْ، إِنِّي لَفِي ذَلِكَ.

قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا، حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ، وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُنْكَبَّاتٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَآنِي، قَالَ: أَفْلَحَ الْوَجْهُ، قُلْتُ: قَدْ قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: صَدَقْتُ[46].

---

[44] رواه [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير/ باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ج3/،214، رقم الحديث 1731/3].

[45] ظعن: هي المرأة في الهودج، الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر(ج377/2).

[46] ابن هشام، السيرة النبوية(ج2/619–620)، وقد أخرجه: [الشيباني، مسند أحمد، ج25/440–442: رقم الحديث 16047]. وروى بعضه [السجستاني، سنن أبي داود، الصلاة/ صلاة الطالب، ج1/401: رقم الحديث1249]، مختصرا. و[الموصلي، مسند أبي يعلى الموصلي، ج2/201: رقم الحديث 905]. و[ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، الصلاة/ الرخصة في الصلاة ماشيا، ج2/91: رقم الحديث982]. و[البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مناقب الصحابة/ ذكر عبد الله بن أنبس، ج16/114: رقم الحديث7160]. و[الطبراني، المعجم الكبير، ج14/283: رقم الحديث 14918]. و[البيهقي، السنن الكبرى، صلاة الخوف/ كيفية صلاة شدة الخوف، ج3/256: 6237]. والضياء المقدسي، الأحاديث المختارة، ج9/27–30: أرقام الأحاديث11–13]. وذكره[الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المغازي والسير/ قتل خالد بن سفيان الهذلي، ج6/300: 10344]. وقال: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه. وفيه راو لم يسم وهو ابن عبدالله بن أنيس وبقية رجاله ثقات.

وقد ضعفه الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم(1249). وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: ابن عبد الله بن أُنيس– وهو عبد الله بن عبد الله بن أنيس كما جاء مبيناً من رواية محمد بن سلمة الحرَّاني عن محمد بن إسحاق عند البيهقي–. ترجم له البخاري في التاريخ(ج5/125)، وابنُ أبي حاتم في الجرح والتعديل (ج5/90)، وابن حبان في الثقات(ج5/37)، ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً. وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير أن محمد بن إسحاق روى له البخاري تعليقاً، ومسلم متابعة، وقد صرح بالتحديث.

وقد حسن إسناد رواية أبي داود: العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري(ج2/437). كما حكم بصحة أسانيد الضياء المقدسي محقق كتابه عبد الملك بن دهيش. وفي إيراد هذا الحديث في صحيح ابن خزيمة، وابن حبان، والمختارة، وكثرة من رواه من كتب الحديث ما يشعر بقبوله، والله أعلم

وفي قتل ابن نبيح إطفاء لشره وإخماد لناره التي أراد إيقادها، ولو ترك الأمر لكان وبالاً على المسلمين، وما كان لينتهي إلا بحرب وقتلى. فكفى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين شرَّ تلك الحرب بالأمر بقتل مدبرها.

أما المُحَرِّض: فباستعراض الروايات وأحداث السيرة النبوية نجد التحريض من مسؤولية النبي صلى الله عليه وسلم أو من ينيبه، فقد تولاه بنفسه في غزوة بدر وحرض الجيش كله، كما قدمت.

وأمر به العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه– وأنابه عنه في غزوة حنين، وكَلَّفَهُ المناداة في الناس وتجميعهم.

غير أنَّ التحريض لم يقتصر على النبي – صلى الله عليه وسلم– بل تولاه بعض الصحابة من تلقاء أنفسهم، ودون إذن منه – صلى الله عليه وسلم–، وهذا بيّنٌ في قول أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ – رضي الله عنه – يوم أحد، فإنه لما انتهى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ[47].

غير أن هذه المبادرة في التحريض على القتال، ليست مطلقة ولكنها مقيدة في الغالب بحال المعركة المحتدمة، أو الحالة المتأزمة التي يصلها جيش المسلمين.

وهو قيد ضروري، فإن التحريض قبل إذن الحاكم أو من ينيبه قد يؤدي إلى الانفلات، وضياع الأمور، وهلاك الناس.

نعم، إنَّ التحريض يقبل من بعض الأفراد دون إذن الإمام، إذا انتفت شُبَهُ الفوضى، ولزم التَّحريض في موقف لا يُستغنى عنه فيه، ويمكن إجمال ذلك في موضعين:

1) في مواقف الالتحام وتشابك الجيوش، حيث لا انفكاك ولا تراجع، فيلزم حينها بثُّ روح الحماسة والتَّحريض على بذل أقصى الجهد في الجهاد، خاصة في حال انقلاب الأحوال، وتشتت الأفراد، فمن الواجب تجميعهم وإعادة هيكلتهم، ونفث روح العزة والاستشهاد فيهم. وفي السُّنَّة المشرفة ما يثبت ذلك، ومثاله ما تقدم من تلك الصورة المشرقة في الحديث السابق، والتي رسمها الصحابي الرائع أنس بن النضر –رضي الله عنه– أثناء معركة أحد بعدما أصاب المسلمين ما أصابهم من الزلزلة حتى ألقى بعضهم بيديه وقعد، فقال مقالته السابقة الموقظة، وفعل فعلته التي تدل على البطولة والتفاني في حبِّ الله –تعالى– ، ورسوله– صلى الله عليه وسلم–، وهذا تحريض في أعلى أنواعه وأشدها، ودعوة مفتوحة للموت في سبيل الله، فإن كان النبي قد مات فما لذة البقاء بعده.
2) عند دخول العدو ديار المسلمين، وانفلات الأمور من عُقُلِها، وانطلاق كل واحد ليدفع العدو بجهده وتدبيره، فلا قائد ولا رأس، إنما هو الاجتهاد الفردي، فما يمنع الحرَّ الأبي لحظتها أن يعلي صوته ويصرخ فيمن يحاكيه من الأحرار فينطلقوا معه ليدحروا الباغي، ويردوا المعتدي. وهي حالة ترفض التفكير الممل، والانتظار المذل، والإدعاء الكاذب، والزعم الفاجر، بل المسارعة والمبادرة، والطعن والمطاعنة، والدفع والمدافعة، وبذل الغالي والنفيس، وإنما تحفظ الأرواح ببذل الأرواح، والمهج ببذل المهج. ولذا نص علماء المسلمين على أنَّ العدو إذا دخل ديار الإسلام وأعلن النفير العام، خرج الولد دون إذن والديه والعبد بغير إذن مولاه، وهكذا.....قال في شرح السير الكبير: فأما إذا جاء النفير عامًا فقيل لأهل مدينة: قد جاء العدو يريدون أنفسكم أو ذراريكم أو أموالكم فلا بأس بأن يخرج بغير إذن والديه لأن الخروج في مثل هذه الحالة فرض عين على كل واحد قال الله تعالى:﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ [التوبة:41]، وما يفوته بترك هذه الفريضة لا يمكنه استدراكه وما يفوته بالخروج بغير إذن الوالدين يمكنه استدراكه بعد هذا فيشغل بما هو الأهم ولأن الضرر في تركه الخروج أعم فإن ذلك يتعدى إليه وإلى والديه وإلى غيرهم من المسلمين .. ولا ينبغي للعبد أن يجاهد بغير إذن مولاه ما لم يكن النفير عاماً فإذا كان ذلك فله أن

[47] ابن هشام، السيرة النبوية(ج2/83). البستي، السيرة النبوية(ص225).

يخرج وليس لمولاه أن يمنعه من ذلك لأن فرضية الخروج عند النفير العام كفرضية الصوم والصلاة، وذلك مستثنى للعبد مما ملكه عليه مولاه، وإذا تبين هذا في العبد وللمولى عليه ملك على الحقيقة تبيَّن في حق الولد مع الوالدين بطريق الأولى.وكذلك النساء إذا كانت بهنَّ قوة القتال فليخرجن إذ كان النفير عامًا.[48]

وإذا كان التَّحريض فرع عن الجهاد فإنَّ له حكمه، وإذا كان الجهاد فرض عين فالتحريض فرض عين كذلك، لما له من دورٍ عظيمٍ في دفع صولة الصائل وعدوان المعتدي.

المبحث الثاني

من أساليب النبي – صلى الله عليه وسلم– في التحريض على القتال.

تعددت أساليب النبي – صلى الله عليه وسلم– في التحريض على القتال، وله فيها طرائق يلزم التنبه إليها، فهو في عالم العسكرية قدوة يجب التأسي به، والسير على طريقته، وإنْ كانت هذه الأساليب قابلة للزيادة عليها والإبداع فيها، فهي خاضعة لاجتهاد البشر وتطورهم، ومن المعلوم أن المُحَرَّضَ عليه نوعان: نوع كثير العدد، يشبه أن يكون جيشًا أو شبه جيش، وقد يكون فردًا واحدًا عظيم الشرّ، كثير السوء، قتله أوجب من الإبقاء عليه.

من أساليب النبي– صلى الله عليه وسلم– في التحريض على قتال الجيش الكبير والعدد الوفير:

1– التحريض بالخُطَبِ أو الأمر المباشر للجماعة:

وهو أن يوجه كلامه إلى مجموع الناس أو الحاضرين يحثهم فيه على الخروج إلى القتال أو مباشرته، ومثال ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

(بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُسَيْسَةَ [49] عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِه قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا» ، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» ، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ» ، قَالَ: – يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: – يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ[50]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» ، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ[51].

ويلاحظ في هذا الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حرَّض المسلمين على القتال عدة مرات:

---

[48] السَّرَخْسي، شرح السير الكبير(ج1/138–139).

[49] هو بَسيسٌ الأنصاري الجُهني، وقيل بَسْبَسَة، ويقال بُسَيْسَةُ بن عمرو، شهد بدرًا، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم عينًا إلى عير أبي سفيان يوم بدر. انظر ترجمته في: الأصبهاني، معرفة الصحابة(ج1/438). وابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة(ج1/379). والعسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة(ج1/420).

[50] بَخٍ بَخٍ: هي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتكرر للمبالغة. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج1/ 101).

[51] رواه [مسلم، صحيح مسلم، الإمارة/ ثبوت الجنة للشهيد، ج3/370–372، رقم الحديث 1901/145].

فالمرة الأولى، لمَّا قال لمن حوله وهم في المدينة لم يخرجوا للقتال بعد، بل كانت طَلِبَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم دون القتال وهي قافلة قريش، فحرَّض الصحابة واستنفرهم للتعرض لقافلة قريش التي كان يقودها أبو سفيان، فقال: (إن لنا طَلِبَةً، فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا)،

وهي مهمة لا تحتمل التأخير وإلا أفلتت القافلة وضاع المغنم، وفسدت المهمة، ولذلك لم يقبل ممن أستأذنه أن يأتي بظهره (دابته)من عوالي المدينة، ونواحيها البعيدة، ولا يخفى أنَّ في التَّعَرُّضِ للقافلة تَعَرُّضٌ للقتال، فربما أصر حماة القافلة على الدفاع عنها فيقع المحذور وينشب القتال، وإن كانت كفَّة المسلمين راجحةً لكثرة عددهم .

والمرة الثانية، وهي أوضح المرات التي ذُكِرَ فيها التَّحريض على القتال، لمَّا قال لأصحابه : (قوموا إلى جنَّةٍ عرضها السموات والأرض)، ومعلوم أنَّ الجنة لا تُنال إلا بانتهاء الأجل، فالنَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلم يستنهضهم للقيام والقتال، فإما نصرٌ وإمَّا شهادة، والذي يميز المسلم عن الكافر أنَّ المؤمن يُوقن أنَّه إذا مات دخل الجنة، ولهذا حرَّضهم النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم على القتال المُوصل إلى رضوان الله وجنته. وقوله (قوموا) دعوةٌ صريحة للجميع، وصيحةٌ مدوِّية وهُتاف قويٌّ بهم لينهضوا حتى لا يتخلف منهم أحد، وكيف يتخلفون والجائزة جنَّة عرضها السموات والأرض، وهو هنا يحرِّضهم بصيغة الأمر وبالإغراء الذي تتوق النَّفْسُ البشرية إليه وتطلبه.

والمرة الثالثة، في ردِّه صلى الله عليه وسلم على سؤال عمير بن الحمام رضي الله عنه حينما قال له:(يارسول الله! جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: "نعم")، فأكد له ذلك وأنَّ ثواب المجاهد المتقدم هوالجنة. وفي تأكيده ذلك مزيد تحريضٍ على الإقدام والقتال، حتى لو كان في الأمر الموت.

والمرة الرابعة، في شهادته صلى الله عليه وسلم لعمير بن الحمام رضي الله عنه بأنه من أهل الجنة بقوله له: (فإنَّك من أهلها)، وأي مسلم صادق تتاح له أسباب دخول الجنة ثم ينكص ويتخلف، وأي مسلم تتوفر فيه صفات الصحابي عمير بن الحمام رضي الله عنه ولا يدخل الجنة بإذن الله، وهي بشارة إلى يوم القيامة لأولئك المجاهدين الذين تدنو منهم الجنة فيسعون لها ويطلبونها بجدهم وجهادهم، وبذلهم وعطائهم.

*ومما يدل على أنَّ هذا التَّحريض من النَّبي صلى الله عليه وسلم قد فعل فعله في نفس وضمير عمير بن الحمام رضي الله عنه رميه تمرات كان يأكلها، وتعجله للقاء الله وهو يرتجز:

رَكْضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادِ إلا التُّقَى وَعَمَلَ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرَ التُّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ[52].

ثم قاتل حتى قتل.

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة التحريضية بل أطلق غيرها فكان من عباراته الملتهبة المُلْهِبَة قوله لأهل بدر رضي الله عنهم: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ)[53].

إنه تحريض على القتال المفضي إلى الموت، إنها دعوة لبذل أقصى الجهد في القتال، ولو كان الموت في انتظارهم، إلا أنَّ العاقبة خير، والمآل الجنة، وهو أمرٌ لا يتطرق إليه شك، وكيف يشك مسلم في ذلك والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقسم على ذلك بالله الذي بيده الموت والحياة.

2– التحريض بالمفاضلة:

[52] الطبري، تاريخ الطبري(ج2/448). وابن كثير، السيرة النبوية(ج2/422).

[53] ابن هشام، السيرة النبوية(ج1/627). البستي. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء(ص173). والسهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام(ج5/88).

كما قد يأخذ التحريض الجماعي مظهرًا آخر يتمثل في الإعلان عن السَّبْقِ والتحدي والمفاضلة بين المقاتلين في إنجاز أمر لا ينجزه إلا الأبطال، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدٍ حينما قال لأصحابه: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ، أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: أَن تشرب بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِيَ.

قَالَ: أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ.

فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إِذَا كَانَتْ، وَكَانَ إِذَا أُعلِمَ بِعِصَابَةٍ لَهُ حَمْرَاءَ، فاعتصب بهَا علم الناس أَنَّهُ سَيُقَاتِلُ، فَلَمَّا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ تِلْكَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ.

فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ رَأَى أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ : إِنَّهَا لمشيةٌ يبغضها الله إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ.[54]

إنها دعوة مفتوحة لكل من يجد من نفسه القدرة على انجاز المهمة على وجهها الأمثل، أن يبذل أقصى إمكاناته في مقارعة العدو، كما أنها دعوة مستقبلية لكل من خذله جهده أولاً أن لا يتأخر في المرة المقبلة.

وقد يقول قائل: ألا يورث هذا الفعلُ من النَّبي صلى الله عليه وسلم الضغائن بين الصحابة رضي الله عنهم؟

قد يكون لهذا القول وجه معتبر في غير ذاك المجتمع وفي غير تلك اللحظات، فالصحابة يُقرُّون للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بحسن الاختيار، ووضعِ الرجل المناسب في المكان المناسب، وتلك مَزِيَّةُ القائد الموفق، فكيف برسول رب العالمين، ثم إنَّ الصحابة كسائر العرب في تلك البلاد كانوا يعرفون أقدار بعضهم بعضًا، ويعلمون أنَّ مِنَ الرجال من لا يحاكيه كثير غيره، ولذا كانت لهم تقديراتهم للرجال، فكانوا يعدون بعض الرجال بمائة فارس، كالصحابي الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه، سيَّاف رسول الله صلى الله عليه وسلم [55]، وقد يقال: (رجلٌ بألفٍ وألفٌ بخفٍ)، وإن لم يقتصر هذا القول على القتال فقط بل قد يمتد إلى العقل والتدبير وحسن الفعال.

وحينما يعطي النبي صلى الله عليه وسلم سيفه لأبي دجانة رضي الله عنه يعرفون أنَّ أحق الناس به هو أبو دجانة، والنبي صلى الله عليه وسلم أقدر خلق الله على اختيار المناسب والأفضل.

نعم، لقد داخل بعض الصحابة ما يداخل سائر البشر من التأثر في مثل هذا الموقف، قال الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ رضي الله عنه: وَجِدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ فَمَنَعْنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَقُلْتُ: أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتَهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي، وَاَللَّهِ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إِذَا تَعَصَّبَ بِهَا. فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي ... وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ

أَلَّا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيُولِ[56] ... أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُرْوَى فِي الْكُبُولِ.[57]

---

[54] ابن هشام، السيرة النبوية(ج2/66– 67). و[البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، غزوة أحد/تحريض النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، ج3/232–233]. وعند[مسلم، صحيح مسلم، من فضائل الصحابة/ من فضائل أبي دجانة، ج 4/223، رقم الحديث2470/128]عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفًا يوم أحدٍ فقال: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا . قال: فمن يأخذه بحقه؟ قال: فأحجم القوم. فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين.

[55] انظر ترجمته في: النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب(ج2/742–743).

[56] الكَيُول: مُؤخَّرُ الصفوف...وقيل الجبان، والكَيُول ما أشرف من الأرض. يريد تقوم فوقه فتنظر ما يصنع غيرك. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث(ج4/219). والزمخشري، أساس البلاغة(ج2/152).

[57] المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب(ج2/205).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ. وَكَانَ فِي الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَنَا جَرِيحًا إِلَّا ذَفَّفَ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ. فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَالْتَقَيَا، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ الْمُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ، فَاتَّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ، فَعَضَّتْ بِسَيْفِهِ، وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا. قَالَ الزَّبِيرُ فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[58].

ذاك حديث نفس الزبير التي كشف خفاياها بنفسه، والتي بدَّدَ قَلَقَهَا الواقعُ الذي أحدثه أبو دجانة بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل الزبيرَ يُقِرُّ بحكمة النبي صلى الله عليه وسلم وخبرته بالرجال، ولعل الذي حمل الزبير على قول ما قال، هو أنَّ الزبير بن العوام مهاجريٌّ وأبو دُجانة أنصاريٌّ، والزبير وإن عَرَف أبا دجانة شخصًا إلا أنه لم يخبره في القتال، ولم يقف على فعاله في المعارك والحروب، إلا أنَّ الأنصار كانوا يعرفونه ويعرفون ما تعنيه عصابته الحمراء، وما تسميتهم لها بعصابة الموت إلا دليل على علمهم بما سيفعله، وهو ما كان يجهله الزبير رضي الله عنه.

ثم إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بفعله ذاك لا يستنهض همم أصحابه على القتال فحسب إنما يحضهم على إظهار أقوى أنواع القتال، وبذل أقصى ألوان البذل والاستبسال، فمن يحمل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ألا يدخر شيئًا من قوته وطاقته، ثم إنَّ في فعله ذاك صلى الله عليه وسلم مزيد تهييجٍ وتحضيضٍ لمجموع الصحابة على أن يفعلوا مثل فعل أبي دجانة، فقد كان يعلم أنَّ أبا دُجانة صاحب فعلٍ قد لا يستطيع كثيرٌ من الصحابة مجاراته، لكنه يريد من جميع الصحابة أن يتخذوا أبا دجانة قدوةً ومثالاً يحتذى في القتال، وأن يحاولوا محاكاته في فعله، لأن الحرب لا ينتصر فيها إلا أبذل الطرفين وأصلبهما وأصبرهما، ومن عجز اليوم عن محاكاة أبي دجانة أسعفه اجتهاده غدًا في اللحاق به.

3– التحريض بالجائزة والغنيمة:

ومن أوجه التحريض التي انتهجها النبي صلى الله عليه وسلم التحريض من خلال الترغيب في الغنيمة، وهذا لا يلغي أجر الجهاد إذا كانت نية الجهاد هي المتقدمة والأصل ثم جاءت الغنيمة تالية لها. ومن المعلوم أن الله قد جعل أربعة أخماس الغنيمة للمقاتلين، حقًا واجبًا لهم مقابل ما بذلوا وقدموا، وهذا يُعَدُّ داعمًا قويًا، ومشجعًا فعَّالاً على بذل أقصى الجهد وتحقيق النصر.

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ) فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حُنَيْنٍ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ عَلاَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَدَرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَضَرَبْتُهُ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَأَرْسَلَنِي، فَلَحِقْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَقُلْتُ: أَمْرُ اللهِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ، قَالَ: فَقُمْتُ، فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: فَقُمْتُ، فَقُلْتُ مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ الثَّالِثَةَ، فَقُمْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللهِ، سَلَبُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي، فَأَرْضِهِ مِنْ حَقِّهِ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: لاَهَا اللهِ، إِذًا لاَ يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أُسُدِ اللهِ ، يُقَاتِلُ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ فَيُعْطِيكَ سَلَبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ، فَأَعْطِهِ إِيَّاهُ، فَأَعْطَانِي، قَالَ: فَبِعْتُ الدِّرْعَ، فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا[59] فِي بَنِي سَلِمَةَ، فَإِنَّهُ لأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ[60] فِي الإِسْلاَمِ[61].

---

[58] انظر: ابن هشام، السيرة النبوية(ج2/68–69). ورواه مختصرًا [البزار، مسند البزار، ج3/193: رقم الحديث 979] وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ متصلا إلا عن الزبير بهذا الإسناد، ولا نعلم رواه عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير إلا عبد الله بن الوازع. وروى جزء العصابة والمشية: [الطبراني، المعجم الكبير، ج7/104: رقم الحديث 6508]، قلت: كلهم أخرجه من طريق عبيد الله بن الوازع الكِلابي، البصري، وهو مجهول، من السابعة/ ت س. العسقلاني، تقريب التهذيب(ج1/640).

[59] مَخْرَفًا: المخرف واحد المخارف، وهو جني النخل، وإنما سمي مخرفًا لأنه يخترف منه أي يجتنى. الهروي، غريب الحديث(ج1/81).

[60] تأثلته: أي اتخذته أصلاً. اليحصبي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار(ج1/18).

وهذا القول وإن كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد معركة حنين إلا أنه يُعَدُّ تحريضًا، فإن لم يكن في هذه المعركة ففي المعارك الأخرى القادمة.

ثم إنَّ هذا القرار النبوي لم يطبق على أبي قَتادة فحسب، بل أصبح رسمًا وقانونًا لا يحتمل التأجيل ولا الإلغاء، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه عقب روايته الحديث: فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلًا فَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ[62].

وقد درج المسلمون على استعمال هذه الفُتْيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن قتيلا فله سلبه، والقصص في ذلك كثيرة[63].

4– التحريض بالشِّعارات:

ويمكن تسميتها بكلمة (التعارف)أو كلمة(السِّر)، وفائدتها التفريق بين المسلمين وأعدائهم في أثناء القتال، وهذا الأسلوب متّبع في المعارك الحديثة، يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: (إنَّ ظروف المعركة ليست ظروفًا اعتيادية، ومن الضروري أن يكون هناك أسلوب واضح للتعارف بين المقاتلين، خاصة وأنَّ المسلمين والمشركين حينذاك كانوا يتشابهون في المظهر الخارجي: في الأشكال والقيافة وفي التسليح والتنظيم، مما يزيد أهمية كلمة التعارف ويجعل لها قيمة أعظم مما لو كان الطرفان المتحاربان يختلفان في أشكالهم وقيافتهم وتسليحهم وتنظيمهم)[64].

وقد كان للمسلمين في كل معركة خاضوها شعار أو كلمات يتعارفون عليها ويرفعون بها أصواتهم، وهو ما يعرف في زماننا بكلمة السر أو الشيفرة، فكان شعارهم في معركة بدرٍ: أَحَدٌ أحد[65]. وفي معركة أُحُدٍ: أَمِتْ أَمِتْ[66]. وفي معركة الخندق: حم لا يُنْصَرون[67]. وفي غزوة بني المُصْطَلِق: يا منصورُ أَمِتْ أَمِتْ[68].

والألفاظ المتقدمة تدل دلالة بينة على أن التحريض مراد فيها، ففي شعار معركة بدرٍ إعلان واضح للمفارقة العقائدية، إذ هي معركة الفرقان والمفاصلة بين الحق والباطل، وبين أولياء الرحمن وأنصار الشيطان، ومن كان معه الواحد الأحد فلن يهزمه أحد، وهو ما يستشعره المسلم وهو يهتف أَحَدٌ أَحَدْ...أَحَدٌ أَحَدْ.

وأما شعار معركة أحد، فيحمل معنى الإجهاز والقضاء المبرم على الكفر وأهله، وتمثلهم في ذلك قريش التي أقبلت بقضها وقضيضها، وحدِّها وحديدها، تريد اجتثاث الإسلام من المدينة، فكان لا بد من استشعار هذا المعنى في نفوس المؤمنين ومقابلة الشر القادم بالقوة المفنية كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[الأنفال: 67].

وهكذا سائر شعارات الحروب لها دلالات تحريضية، تحمل المقاتلين على الاستبسال والبذل، وتبث فيهم روح الشجاعة والجرأة.

---

[61] رواه [مسلم، صحيح مسلم، الجهاد والسير/ استحقاق القاتل سلب القتيل، ج3/ 227–228: رقم الحديث 1751]، وانظر، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج12/ 60–61).

[62] رواه [الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، ج3/552: رقم الحديث 2192]. و[ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ج6/478: رقم الحديث 33084]. و[الشيباني، مسند أحمد، ج19/266: رقم الحديث 12236]. وابن زنجويه، الأموال، ج2/686: رقم الحديث 1152]. و[السجستاني، سنن أبي داود، الجهاد/ في السلب يعطي القاتل، ج3/71: رقم الحديث 2718]. وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[63] انظر الروايات المؤيدة لذلك في: [ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف، الجهاد/ من جعل السلب للقاتل، ج6/478–479: أرقام الأحاديث 33082–33094]. و[مسلم، صحيح مسلم، الجهاد والسير/ استحقاق القاتل سلب القتيل، ج3/229–232: أرقام الأحاديث 1752–1754].

[64] خطاب، الرسول القائد(ص123).

[65] ابن هشام، السيرة النبوية(ج1/634).

[66] المرجع السابق(ج2/68).

[67] المرجع نفسه(ج2/226).

[68] المرجع نفسه(ج2/294).

ولا يصح أن يَعْرِفَ سائر أفراد الجيش هذه الشعارات ولا يعرفها قائدهم، إن لم يكن هو المشير عليهم بها وأول الهاتفين والذاكرين لها.

5–التحريض بالتكبير والهتاف:

للتكبير في حياة المسلمين حياة، وله في ضمائرهم ضياء وبهاء، ولِتَرَدُّدِهِ على ألسنتهم أنغامٌ وألحانٌ وشُجُون، وهو النداء الخالد الذي يُعلن عن القوة الظافرة المنتصرة التي لا يصمد لها شيء، ولا يثبت أمامها راسخ، إنها قوة الله الكبير.

فإذا أضيفت إليه البشارة بالفتح والنصر على الأعداء، فأي قوةٍ يمكن أن تقف في وجه المسلم المقاتل.

وهذا المعنى العميق كان يدركه النبي صلى الله عليه وسلم، ويعلم علم اليقين أي منعطف سيسوق إليه المسلمين، لذا كان هتافه يوم أن أبصر خيبر بقلاعها الحصينة:

(اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات: 177][69].

إنها كلمات يصغر أمامها كل عظيم، ويزول كل ثابت، ويملأ قلب المؤمن منها يقين بالنصر والتمكين والفتح المبين، فيقدم لا يتأخر، ويهجم ولا يتقهقر، تصديقًا بموعود رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من أساليب النبي– صلى الله عليه وسلم– في التحريض على قتال الفرد الواحد:

قدمت القول بأن التحريض على القتال في المعارك له أساليبه المختلفة، لكني أحسب أنَّ هذا النوع الفردي ليس له أساليب سابِقِه، إذ أنه متعلق بالعدد القليل، والمراد به: نَدْبُ واحدٍ أو مجموعةٍ قليلة لأداء مهمة معينة، ويمكن تسمية هذا اللون من عمليات القتل بعمليات التصفية. والذي يعنيني في هذا البحث هو إتباع النبي صلى الله عليه وسلم لأسلوب تصفية الأعداء متى لزم الأمر وكان لا بد من اجتثاث شرور الأشرار بعدما تجاوزوا كل حَدٍّ من حدود الجوار وحفظ العهد، بل غدوا أدوات تآمر وإفساد وإجهاز على دولة الإسلام، ولا يقولن قائل هذا لا يجوز، وكيف يصدر مثل هذا الفعل عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهل ارتكاب مثل هذه الأفعال من أخلاق النبوة؟ وفي عرض بعض الأمثلة من السيرة النبوية دليل على أن ما كان يفعله خصوم النبي صلى الله عليه وسلم من أفعال هدفها القضاء على الإسلام ونبيه ودولته ما يستوجب مثل تلك العقوبة الزاجرة لكل من تُسَوِّلُ له نفسه التحريض والكيد للإسلام، يقول الدكتور الصَّلابي : (إن خطر المحرضين على الفتنة لا يقل عن خطر الذين يشهرون السيوف لقتال المسلمين، إذ لولا هؤلاء المحرضون لما قامت الفتنة، لذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع هؤلاء المحرضين ويقتلهم إطفاء لنار الفتنة، وتمكينًا للحق، وقد قتل منهم خلقًا بعد موقعة بدر)[70]،

وتختلف أصناف المستهدفين بالقتل، فمنهم:

المنافق الذي رضي بأن يتزيَّا بزيِّ المسلمين، ويعيش بينهم، ويكون فردًا من جماعتهم، مع إضماره الكفر، فأمره مسكوت عنه وسِرُّه موكول إلى الله تعالى، فإن أظهر العدوان والكره، وحرض على المسلمين وإمامهم، فقد خلع ثوب الإسلام باطنًا وظاهرًا، وجهر بالكفر، فحاله حال الكافر المحارب، ولا كرامة له ولا عصمة لدمه، كحال عصماء بنت مروان[71].

والحربي الذي جَمَّع الخصوم، ورام الحرب والعدوان، وأعلن عن نيته في كل مكان، فلزم الفتك به قبل انتشار أمره وتمكنه من تحقيق قصده، ومثاله ابن نبيح[72].

---

[69] رواه [البخاري، صحيح البخاري، الصلاة/ ما يذكر في الفخذ، ج1/137–138: رقم الحديث371]. و[مسلم، صحيح مسلم، الجهاد والسير/غزوة خيبر، ج3/1426–1427: رقم الحديث 120–1365/122].

[70] الصَّلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث(ص458).

[71] تقدمت قصتها في (ص16).

[72] تقدمت قصته في (ص18).

والمعاهد الذي تجاوز شَرُّه كل شر، فنقض المواثيق وأخلف المواعيد، وطعن في كل مقدس، واجتهد في التأليب والتحشيد، فوجب استئصاله واجتثاث شره، ولو كان من أهل الذمة، وأمثلة هذا الصنف في السيرة النبوية كثيرة منها:

قتل كعب بن الأشرف: وكان زعيمًا من زعماء من بني يهود، يكره الدين الجديد ونبيه، ويرى في ظهور الإسلام ذهاب عزّه وجاهه، فساءه ما أصاب قريشًا في بَدْرٍ، مِنْ قَتْلِ زعامتها، وإرغام أنفها، فقال: وَاَللَّهِ لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَصَابَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا.... ثم خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَجَعَلَ يُحَرِّضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُنْشِدُ الْأَشْعَارَ، وَيَبْكِي أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، الَّذِينَ أُصِيبُوا بِبَدْرٍ. ثُمَّ رَجَعَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَشَبَّبَ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى آذَاهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لِي بِابْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: أَنَا لَكَ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَقْتُلُهُ، قَالَ: فَافْعَلْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ.

مضى محمد بن مسلمة رضي الله عنه يرتب أموره لقتل كعب بن الأشرف، واستعان لتحقيق ذلك بالرأي والمكيدة وأربعة من إخوانه المسلمين، وأخيرًا تمَّ لهم ذلك وعادوا يبشرون النبي صلى الله عليه وسلم بما فعلوا.

وكانت نتيجة هذه العملية أن خاف اليهود، فَكُفَّت أياديهم، وجَبُنَت قلوبهم، وكانوا كما قال عنهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه: فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ خَافَتْ يَهُودُ لِوَقْعَتِنَا بِعَدُوِّ اللَّهِ، فَلَيْسَ بِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ[73].

وقد اجتمعت في كعب بن الأشرف عدة أمور استوجبت قتله:

1. ولاؤه لقريش الذي ظهر بوضوح في حزنه الشديد لهزيمة قريش في بدر حتى حمله ذلك على قول ما قال.
2. خروجه إلى مكة داعيا قريشًا إلى حشد قواها لقتال المسلمين ومحرضًا لهم على الخروج إلى المدينة لاجتثات المسلمين.
3. نَظْمُه الأشعار في بكاء صناديد قريشٍ الهلكى ، وفي دعوة قريشٍ للثأر لقتلاها، ومن المعلوم أنَّ الأشعار كانت وسيلة الإعلام الرئيسة يومها، الأكثر تأثيرًا والأسرع انتشارًا.
4. ورابعة الأثافي، وأبشع الأفعال تشبيبه بنساء المسلمين، وهي جريمة لا تغتفر عند المسلم الحُرِّ فكيف يغفرها له صلى الله عليه وسلم،

نحنُ الذينَ إذا مُسَّتْ حرائِرُنا ضُحًى أَخَذْنا قُبَيْلَ الظُّهْرِ بالثَّارِ[74]

ولعل أمورا أخرى اجتمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصلته إلى ضرورة إزاحة هذا الخصم غير الشريف من طريق الدعوة، علمًا أنَّ هذا اليهودي شملته اتفاقية المدينة(صحيفة المدينة)[75] التي تحرم عليه ما ارتكبه، وتلزمه بجملة من القواعد والواجبات، فلما نقضها استحق القتل لمخالفته ذلك.

وفي القصة فوائد كثيرة أعرضت عن ذكرها خشية الإطالة.

ومنها أيضًا: قتل سَلاّم بن أبي الحُقَيْقِ[76]، والباحث في دواعي قتله يجدها نفس الدواعي التي حملت النبي صلى الله عليه وسلم على الأمر بقتل كعب بن الأشرف.

والمتتبع لهذه الحوادث الفردية يجد أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قد سلك في التحريض عليها ثلاثة مسالك:

الأول: ندب رجل بعينه وتحريضه ليقوم بالعمل منفردًا كما فعل مع عبد الله بن أنيس– لما انتدبه دون غيره لقتل ابن نُبيح[77].

---

[73] انظر القصة تامة في ابن هشام، السيرة النبوية(ج2/51–58). وقد أخرجها [البخاري، صحيح البخاري، المغازي/ قتل أبي رافع، ج3/1230–1231: رقم الحديث 4038]. و[مسلم، صحيح مسلم، الجهاد والسير/ قتل كعب بن الأشرف، ج3/283: رقم الحديث1801/119].

[74] من قصيدة للشاعر قتيبة عبد الرحمن بعنوان (لبيك يا بيان)، وكالة الرأي العربي– http://news.mkomarab.com/

[75] انظر نص الصحيفة في: ابن هشام، السيرة النبوية(ج 1 / 501).

[76] انظر القصة تامة عند ابن هشام، السيرة النبوية(ج2/273– 276). وقد أخرجها [البخاري، صحيح البخاري، المغازي/ قتل أبي رافع، ج3/1232–1233: رقم الأحاديث 4039–4041] .

[77] تقدم ذكره في (ص18).

الثاني: عَرْضُ الأمر على ثلة من خاصته دون تحديد واحد منهم، وترك الأمر لاستعداد وتقدم من يرى في نفسه القدرة على تنفيذ الأمر، كما في قصة قتل أبي عَفَك: وكان شيخًا يهوديًا طاعنًا في السنّ قد جاوز المائة والعشرين سنة، ومع ذلك لم يدخل في الإسلام بل أظهر العداوة للإسلام ونبيه، خاصة بعد ما قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدِ بْنِ صَامِتٍ[78]، وكان الأولى به – وهو من أهل الكتاب وعندهم خبر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم – أن يسرع إلى الدخول في الإسلام ويعلن براءته من الكفر والمعاندة، لكنه كابر فَقَالَ شعرًا يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم ويصفه بالذليل ومفرق الجماعة، ويبكي الأنصار بني قيلة[79] الذين سَفِهَتْ أحلامهم وطاشَتْ عقولهم بتصديقهم النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وهم الذين كانوا أبرَّ الناسِ عهودًا وأوفاهم عقودًا :

لَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وَمَا إنْ أَرَى ... مِنْ النَّاسِ دَارًا وَلَا مَجْمَعَا
أَبَرَّ عُهُودًا وَأَوْفَى لِمَـنْ ... يُعَاقَدُ فِيهِـمْ إذَا مَا دَعَـا
مِنْ أَوْلَادِ قَيْلَةَ فِي جَمْعِهِمْ ... يَهُدُّ الْجِبَـالَ وَلَمْ يَخْضَعَا
فَصَدَّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُـمْ ... حَلَالٌ حَـرَامٌ لِشَتَّى مَعَـا

وهذا تأليب صارخ على النبي صلى الله عليه وسلم بل دعوة لقتله عليه الصلاة والسلام، مما حمل النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لأصحابه: مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيثِ؟

ولم يلجأ النبي إلى التحريض على قتله، إلا لمخالفات ارتكبها أهمها:

1. نظمه الشعر في هجاء النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بالذليل ومفرق الجماعة، وفي ذلك اعتداء على النبي صلى الله عليه وسلم ممثل الشرعية، ورئيس الدولة، وفي التطاول عليه تطاول على جميع أركان الدولة، وفي السكوت عن مثل هذا الفعل تجريء للمفسدين في التطاول على الدولة ورموزها، ووصفه بالذليل كفر بالله العظيم، كما أن في مقولته تلك دعوة لتمزيق المسلمين وتدميرهم.
2. وفي بكائه الأنصار وذمهم لاتِّباعهم النَّبي صلى الله عليه وسلم دعوة إلى العودة إلى الجاهلية ومحاربة دعوة النَّبيّ صلى الله عليه وسلم.

ولذلك وصفه النبي صلى الله عليه بالخبيث وفي ذلك دليل على تنبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مبتغاه الرديء، وسوء فعاله.

وبعض هذه الأفعال يستوجب قتله والقضاء على فتنته وهو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم. فما كان من سَالِمِ بْنِ عُمَيْرٍ إلا أن استجاب لنداء النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: عليَّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه. ثم تمهل قليلا حتى أصاب منه غفلة فخرج إليه فقتله وقطع شره[80]. وكان قتله في شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة النبوية[81].

الثالث: أن يستأذن بعضُ الصحابةِ النبيَّ– صلى الله عليه وسلم– في قتل بعض من يُعرفون بشدة عداوتهم لله ورسوله، ورضا الرسولِ– صلى الله عليه وسلم عن فعلهم. ومثال ذلك استئذان بعض الصحابة من الخزرج في قتل سلام بن أبي الحقيق[82]، أسوة بإخوانهم من الأوس الذين بادروا إلى قتل كعب بن الأشرف.

---

[78] كان الحارث بن سويد منافقًا، فخرج يوم أحد مع المسلمين، فلما التقى الناس، عدا على اثنين من المسلمين فقتلهما ثم لحق بمكة، وكان رسول الله قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته، ثم عاد الحارث إلى المدينة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه فضرب عنقه، انظر قصته في: الواقدي، المغازي(ج115/1). وسمى الذي ضرب عنقه بعويم بن ساعدة. ابن هشام، السيرة النبوية(ج89/2)، اليعمري، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير(ج26/2).

[79] بنو قيلة: هم الأنصار، الأوس والخزرج، نسبة إلى أمهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو. انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب(ج332/1).

[80] انظر تمام القصة عند: الواقدي، المغازي(ص174). وابن هشام، السيرة النبوية(ج635/2– 636)، واليعمري، عيون الأثر(ج341/1).

[81] اليعمري، عيون الأثر(ج341/1).

[82] تقدمت الإشارة إلى مواضع قصته في (ص29).

نتائج البحث

في ختام هذا البحث لا بد من الوقوف على بعض نتائجه المهمة، والتي من خلالها يتضح مفهوم التَّحريض، والحدود التي يلزم الوقوف عندها والتَّقيد بها في التعامل معه، ومنها:

1. إنَّ التحريض على القتال مرتبط في الأصل بمن يعلن الحرب، ومعلوم أنَّ قرار الحرب منوط بالإمام، فلا يصدر أمرَ القتال أحدٌ غيره، وإنْ كان فبإذنه، لذا كان قرار التحريض بيد الإمام كذلك، وهو ما نجده في الأمثلة التي تقدمت من السنة المشرفة.
2. قد يُحَرِّضُ الأفراد، ويكون التحريض منهم جائزًا بل واجبًا إذا استلزم الأمر، خاصة في حالات الالتحام واشتباك الجيوش، وتحريضهم في هذه الحالات هو جزء من تحريض الإمام وإذنه.
3. كان للنبي – صلى الله عليه وسلم– منهجه في التحريض على القتال، وهو منهج متعدد النواحي، كثير الأساليب.
4. تميزت أساليب التحريض لدى النبي– صلى الله عليه وسلم– بمناسبة كل تحريض لحدثه، وقد يكون بعضها أبلغ من بعض وأكثر تأثيرًا، وذلك تبعًا للحالة التي يكون فيها القتال والمقاتلون.
5. لا يحق لأي فردٍ أن ينفرد بالتحريض دون إذنٍ عامٍ أو خاصٍ، لما في ذلك من جرٍّ للأمة إلى الويلات وإتلاف للأرواح، والأصل فيها الحفاظ عليها وصونها.
6. حرص القيادة السياسية والعسكرية على إيجاد تناغم بين قراراتها ورغبات الأفراد ومصلحة الأمة كي لا ينفرد أحد بقرار التحريض فينفرط عقد الأمة وتضيع هيبة الدولة وتهلك الجماعة، ويتفرق الأفراد، وتتشتت الآراء، وتتغلب الأهواء، وتسود الفوضى.
7. يدخل التحريض باب الإذن بالتصفية الجسدية لأفراد من الناس رضوا بأن يكونوا في صف العدو المحارب، حالهم كحاله من الكراهة للإسلام والكيد له ولأهله.
8. من حقِّ كل فرد من أفراد الأمة التحريض على القتال في حال النفير العام أو دخول العدو ديار المسلمين دون إذن من إمام أو قائد، إلا أن يكون في ذاك الفعل ما يضرُّ بالمصلحة العامة، أو يجلب الويلات على الأمة، أما إذا ترجح نفع التحريض وضرورته فقد تعين فعله. والضرورة تقدر بقدرها، ويقدرها أهل العلم والعارفون.

توصيات: يحسن في نهاية هذا البحث وضع بعض التوصيات المفيدة في مجالها، ومنها:

1- دعوة الباحثين، وطلبة الدراسات العليا إلى الكتابة في مثل هذا الموضوع وأشباهه، مما يحتاجه الناس في أيامنا هذه.
2- على وزارتي الإعلام والثقافة بجميع أركانهما، أن تتوليا التذكير بأهمية هذه الموضوعات، والاجتهاد في طبع المنشورات والمؤلفات التي تخدم مثل هذه القضايا الحساسة، وتوزيعها بين الناس لزيادة مساحة الوعي في الضمير الجمعي الإسلامي.
3- ضرورة عقد مؤسسات الدولة المختصة، كل وفق اختصاصه، للندوات والمؤتمرات المتعلقة بموضوع التحريض على القتال، زيادة في نشر الوعي، وقطعًا للطريق على كل منفلت الفكر، ضعيف العلم.
4- يقع على عاتق وزارة الأوقاف تجنيد وتوجيه الخطباء والوعاظ– بعد تأهيلهم–، نشر الفقه الوسطي المنضبط بتعاليم الدين الحنيف.
5- كما تتحمل وزارة الدفاع مسؤولية تفهيم الشعب وتوعيته بمضار الاختلاف في هذه الأمور، ومحاولة جمع الناس على رأي واحد موحد.

والحمد لله رب العالمين

المراجع والمصادر

الأزهري، محمد بن أحمد الهروي(ت 370هـ). (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله(ت430هـ). (1998م). *معرفة الصحابة*. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط1. الرياض: دار الوطن للنشر.

الألباني، محمد ناصر الدين(ت1420هـ). (1995– 2002م). *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*. ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

الألباني، محمد ناصر الدين(ت1420هـ). (ب. ت. ن). *صحيح وضعيف سنن أبي داود*. ب.ط. ب.ب.ن. ب.د.ن. من ضمن المكتبة الشاملة.

الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد(ت 328هـ). (1992م). *الزاهر في معاني كلمات الناس*. تحقيق: حاتم صالح الضامن. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد(ت630هـ). (1994م). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد(ت 606هـ). (1979م). *النهاية في غريب الحديث*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي. ب.ط. بيروت: المكتبة العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل(ت 256هـ). (1431هـ). *صحيح البخاري*. راجعه: محمد علي القطب وهشام البخاري. ب.ط. صيدا–بيروت: المكتبة العصرية.

البزار، أحمد بن عمرو(ت292هـ). (2009م). *مسند البزار= البحر الزخار*. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة.

البستي، أبو حاتم محمد بن حبان(ت 354هـ). (1417هـ). *السيرة النبوية وأخبار الخلفاء*. صحّحه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء. ط3. بيروت: الكتب الثقافية.

البستي، أبو حاتم محمد بن حبان(ت 354هـ). (1993م). *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

البيهقي، أحمد بن الحسين(ت458هـ). (1405هـ). *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البيهقي، أحمد بن الحسين(ت458هـ). (1344هـ.) *السنن الكبرى*. ب.ط. الهند/حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف النظامية.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي(ت 231هـ).(ب.ت.ن). *ديوان أبي تمام*. ب.ط. ب.ب.ن– ب.د.ن. من ضمن المكتبة الشاملة.

الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي(ت 393هـ). (1987م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار . ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

ابن حزم، علي بن أحمد(ت456هـ). (1983م). *جمهرة أنساب العرب*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

خطاب، محمود شيت(ت 1419هـ). (1422هـ). *الرسول القائد*. ط6. بيروت: دار الفكر.

رضا، محمد رشيد بن علي رضا(ت 1354هـ). (1990م). *تفسير القرآن الحكيم(تفسير المنار)*. ب.ط. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الزجاج، إبراهيم بن السري(ت 311هـ). (1988م). *معاني القرآن وإعرابه*. ط1. بيروت: عالم الكتب.

الزمخشري، محمود بن عمرو(ت538هـ). (1998م).*أساس البلاغة*. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، محمود بن عمرو(ت538هـ). (ب. ت. ن).*الفائق في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل. ب.ط. بيروت: دار المعرفة.

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق(ت311هـ). (ب. ت. ن). *صحيح ابن خزيمة*. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. ب.ط. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن زنجويه، حميد بن مخلد(ت251هـ). (1986م). *الأموال*. تحقيق: شاكر فياض. ط1. السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث(ت275هـ). (ب. ت. ن) *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ب.ط. صيدا– بيروت: المكتبة العصرية.

السَّرَخْسي، محمد بن أحمد(ت490هـ). (1997م). *شرح السير الكبير*. تحقيق: محمد حسن إسماعيل.ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله(ت 581هـ). (2000م). *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام*. تحقيق: عمر عبد السلام السلامي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن سعد، محمد بن سعد الزهري(ت230هـ). (2001م). *الطبقات الكبير*. تحقيق: علي محمد عمر. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي(ت 458هـ). (1996م). *المخصص*. تحقيق: خليل إبراهيم جفَّال. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الشعراوي، محمد متولي(ت1418هـ). (1997م). *تفسير الشعراوي (الخواطر)*. ب.ط. القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

الشيباني، أحمد بن حنبل(ت241هـ). (2001م). *مسند أحمد*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي(ت235هـ).(1409هـ). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال الحوت. ب.ط. الرياض: مكتبة الرشد.

الصالحي، محمد بن يوسف(ت942هـ). (1414هـ). *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الصَّلابي، علي محمد. (2008م). *السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث*. ط7. بيروت: دار المعرفة.

الضياء المقدسي، محمد بن عبد الواحد(ت643هـ). (2008م). *الأحاديث المختارة*. تحقيق: عبد الملك بن دهيش. ط5. مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب(ت360هـ). (1983م). *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي السلفي. ط2. الموصل: مكتبة العلوم والحكم.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب(ت360هـ). (ب.ت.ن). *المعجم الكبير*. تحقيق: سعد بن عبد الله الحميد وآخرون. ب.ط. ب.ب.ن. ب.د.ن. من ضمن المكتبة الشاملة.

الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ).(1387هـ). *تاريخ الطبري=(تاريخ الرسل والملوك)*. ط2. بيروت: دار التراث.

الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ).(2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود(ت204هـ). (1999م). *مسند أبي داود الطيالسي*. تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي. ط1. مصر: دار هجر.

عبدالله مراد، فضل. (2014م). *المقدمة في فقه العصر*. ط1. صنعاء: مكتبة الجيل الجديد.

العَرْجِي، عبدالله بن عمرو(ت نحو 120هـ). (ب. ت. ن). *ديوان العَرْجي*. تحقيق: سجيع جميل الجبيلي. ط1. بيروت: دار صادر.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ).(1415هـ). *الإصابة في تمييز الصحابة*. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ). (1993م). *تقريب التهذيب*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ). (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. رقم كتبه: محمد فؤاد عبد الباقي. ب.ط. بيروت: دار المعرفة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي(ت1393هـ). (1984م). *التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)*. ب.ط. تونس: الدار التونسية للنشر.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو البصري(ت 170هـ). (ب.ت.ن). *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. ب.ط. ب.ب.ن: دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب(ت817هـ). (2005م). *القاموس المحيط*. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(ت 395هـ). (1986م). *مجمل اللغة*. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(ت 395هـ). (1979م). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ب.ط. بيروت: دار الفكر.

القضاعي، أبو عبدالله محمد بن سلامة(ت454هـ). (1986م). *مسند الشهاب*. تحقيق: حمدي السلفي. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

قطب، سيد (ت1966م). (1989م). *ديوان سيد قطب*. جمعه ووثقه: عبد الباقي محمد حسين تهامي. ط1. المنصورة : دار الوفاء للطباعة.

قطب، سيد(1966م). (1412هـ). *في ظلال القرآن*. ط17. بيروت: دار الشروق.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ). (1976م). *السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)*. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. ب.ط. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

المراغي، أحمد بن مصطفى (ت1371هـ).(1946م). *تفسير المراغي*. ب.ط. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت 261هـ). (1997م). *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. القاهرة.

المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي(ت610هـ). (1979م). *المغرب في ترتيب المعرب*. تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار. ط1. حلب: مكتبة أسامة بن زيد.

الموصلي، أحمد بن علي(ت307هـ).(1984م). *مسند أبي يعلى الموصلي*. تحقيق: حسين أسد. ط1. دمشق: دار المأمون للتراث.

الميداني، أحمد بن محمد (ت 518هـ).(ب.ت.ن). *مجمع الأمثال*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ب.ط. بيروت: دار المعرفة.

ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي (ت711هـ). (1414هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي(ت 463هـ).(1992م). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف(ت676هـ). (1392هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ).(1396هـ). غريب الحديث. تحقيق: محمد عبد المعيد. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.

الهيثمي، علي بن أبي بكر(ت 807 هـ). (1412هـ). *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. ب.ط. بيروت. دار الفكر.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب(ت213هـ). (1955م). *السيرة النبوية*. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت207هـ). (ب.ت.ن). *المغازي*– . ب.ط. ب.ب.ن: المكتبة الشاملة.

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية– الكويت. (1404– 1427هـ. الموسوعة الفقهية الكويتية. ط 2. الكويت: دار السلاسل.

اليحصبي، عياض بن موسى(ت544هـ). (ب.ت.ن).*مشارق الأنوار على صحاح الآثار*. ب.ط. ب. ب.ن: المكتبة العتيقة ودار التراث.

اليعمري، محمد بن محمد بن سيد الناس(ت734هـ).(1993م). *عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير*– تعليق: إبراهيم رمضان. ط 1. بيروت: دار القلم.

المواقع الإلكترونية:

وكالة الرأي العربي– http://news.mkomarab.com/

قائمة المراجع المرومنة:

Alazhari, M. A. H.(2001). Reform of the language (in Arabic). Investigation Muhammad AwadMirib. 1st print. Beirut. Dar of Revival of Arabic Heritage.

Alisbahani, A. N. (1998). Knowledge of Companions. Investigation: Adil Ibn YusifAlazazi(in Arabic). 1st print. Riyadh: Dar Watanfor publication.

Alalbani, M.N. (1995-2002). Series of authentic prophetic traditions and some of its jurisprudence and benefits (in Arabic). 1st print. Riyadh.Almarif house for publication and distribution.

Alalbani, M.N. (n.d.). Authentic and weak traditionsAbuDaud(in Arabic). The Comprehensive Bookstore.

Alanbari, M.Q.M. (1992). The radiant in the significance of people's words. Investigation: HatimSalihDamin(in Arabic). 1st print. Beirut: Arrisala Foundation.

Ibn al-AthiralJazri, A.H.A.K.M. (1994). The paramount in recognition of companions. Investigation: Ali Muawad and AdilAbd Almawjud(in Arabic). 1st print.Beirut: Scientific Books House.

Ibn al-AthiralJazri, M.S.M.M. (1979). The end in unfamiliar traditions. Investigation: Tahir Ahmad Zawi and Mahmud Tanaji(in Arabic).Beirut. Scientific Bookstore.

Albukhari, M.I. (1431a.h.) Sahih Bukhari. Revision: Muhammad Al Qutub and Hisham Bukhari(in Arabic). Sidon- Beirut. al-maktaba-al-asria.

Albazar, A. A. (2009). Albazarreference equals abundant sea. Investigation Mahfuz Rahman Zainallah et.al.(in Arabic). 1st print. MadinaAlmunawara: Sciences and Knowledge Bookstore. MadinaAlmunawara.

Albasti, A.H.M.H. (1417a.h.). Prophetic biography and Caliphs news. Edition and commentary: MahfuzSaiyd Aziz Bik et.al.(in Arabic).3rd print. Beirut: Cultural Books.

Albasti, A.H.M.H. (1993). Sahih Ibn Hayyan organization Ibn Bilban. Investigation: Shuaib Arnaut (in Arabic). 2nd print.Beirut: Arrisala Foundation.

Albayhaqi, A.H. (1405 a.h.). Proofs of the prophethood and knowledge of the affairs of Sharia jurist(in Arabic).1st print. Beirut. Scientific Books House.

Albayhaqi, A.H. (1344 a.h.).The greatestSunan (collections of traditions)(in Arabic). India. Hayderabad: Council of Regular Education Department.

Abu Tamam, H.A.T. *(n.d.).* The *Diwan* of *Abu Tammam(in Arabic).* The Comprehensive Bookstore.

Aljawhari, I.H.F. (1987). The Crown of language and the correct Arabic. *Investigation:Ahmad Abdallah GhafurAtar(in Arabic). 4th print. Beirut.*Dar El IlmLilmalayin publishers.

Ibn Hazm, A. A. (1983).Assembly of Arab lineages (in Arabic). 1st print. Beirut. Scientific Book House.

Khattab, M. Sh. (1422a.h.). The prophet the leader (in Arabic). 6th print. Beirut. Dar al fikr publishing.

Rida, M.R.A.R. (1990). Interpretation of the prudent Quran. (Almanar Interpretation)(in Arabic). Egypt: The Egyptian General Authority for Books.

Azzajaj, I.S. (1988). Interpretation and parsing of The Quran(in Arabic). 1st print. Beirut. The World of Books.

Azzamakhshari, M.A. (1998). Foundations of Eloquence. Investigation Muhammad Basil AuyyunAsSud(in Arabic). 1st print. Beirut. Scientific Books House.

Azzamakhshari, M.A. (n.d.). The outstanding in unfamiliar hadith (tradition) and athar (report). Investigation: Ali Bijawi and Muhammad Abu Fadl(in Arabic). Beirut. Dar Almarifa.

IbnKhazima, M.I (n.d.). Ibn KhazimaSahih. Investigation: Muhammad Mustafa Azthami(in Arabic). Beirut. Islamic Office for Publication.

Ibn Zinjawiyh, H.M. (1986).TheFinances. Investigation: Shakir Fayyad. (in Arabic). 1st print. Saudi Arabia: King Faisal Center for Research and Islamic Studies.

Alsajistani, A.D. S.A. *(n.d.). Sunnan (*collection of hadiths) Abi Daud. Investigation: Muhammad MuhiyyaldinAbdlhamid(in Arabic). Sidon- Beirut. al-maktaba-al-asria.

Assarkhasi, M.I.A. (1997). The great account of biographies. Investigation:Ali Muhammad Umar (in Arabic). 1st print.Beirut. Scientific Books House.

Assahili, A.A. (2000). The supreme precedent account of the prophetic biography by Ibn Hisham. Investigation: Umar Abd Salam Salami (in Arabic). 1st print. Beirut. Dar of Revival of Arabic Heritage.

Ibn Sa'd, M.S.Z. (2001). The major classes. Investigation: Ali Muhammad Umar (in Arabic). 1st print. Cairo. AlKhanji Bookstore.

Ibn Sidah, A. I. M. (1996). The specialist. Investigation: Khalil Ibrahim Jaffal(in Arabic).1st print. *Beirut.* Dar of Revival of Arabic Heritage.

Assharawi, M. M. (1997) Assharawi Interpretation (Thoughts)(in Arabic). Cairo. Akhbar Al Yum Press.

Alshibani, A.H. (2001). MusnadAhmad. Investigation: Shuaib Arnaut (in Arabic). 2nd print. Beirut: Arrisala Foundation.

Ibn Abi Shiyba, A. A. M. A. (1409 a.h.) The classified book in hadiths and athars. Investigation: Kamal Al Hut (in Arabic). Riyad. ArRushd Bookstore.

Alsalhi, M.Y. (1414a.h.). Paths of guidance and righteousness in the biography of the best worshippers. Investigation: AdilAbdMawjud& Ali Muawad(in Arabic)1st print. Beirut: Scientific Books House.

Alsalabi, A.M. (2008). Prophetic biography demonstration, incidents, and analysis of events (in Arabic).7th print. Beirut. Dar al-Ma'rifah.

Aldiaalmaqdsi, M.A. (2008). Selected traditions. Investigation: Abdl Malik Bin Dhish(in Arabic). 5th print. Mecca, Alasdi Bookstore.

Attabarani, S.A. A. (1983). The Large Dictionary. Investigation:HamdiAssalafi(in Arabic). 2nd print. Musil. Science and Wisdom Bookshop.

Attabarani, S.A. A. *(n.d.).* The Large Dictionary. Investigation Saad Bin Abdallah Alhamid et.al. (in Arabic). The Comprehensive Bookstore.

Altabari,M.J. (1387a.h.). The history of Altabari History equals (History of Prophets and Kings)(in Arabic). 2nd print.Beirut. Heritage House.

Altabari, M.J. (2000).Collector of Eloquence in the interpretation of the Quran. Investigation: Ahmad Muhammad Shakr(in Arabic)1st print. Beirut. Arrisala Foundation.

Altaialisi, A.D.S.D. (1999). MasnadAbi DaudAltaialisi. Investigation: Muhammad AbdMuhsinTurki(in Arabic). 1st print. Egypt. Dar Alhijra.

Abdallah Murad, F. (2014) Introduction to the jurisprudence of the era (in Arabic). 1st print. Sanaa. The New Generation Bookstore.

Alarji, A. U. *(n.d.). The Diwan of Alarji. Investigation: Saji Jamil Aljbili(in Arabic). 1st print. Beirut.Sadir Bookstore.*

Alasqalani, A. A. H. (1415 a.h.). Righteousness in the distinction of the companions. Investigation: AdilAbd Almawjud & Ali Muawad(in Arabic).1st print. Beirut. Scientific Books House.

Alasqalani, A. A. H. (1993).Approximation of Refinement. Investigation: Mustafa AbdlQadir Ata (in Arabic). 1st print. Beirut.Scientific Books House.

Alasqalani, A. A. H. (1379 a.h.). Victory of the Creator in the explanation of Sahih Bukhari (in Arabic). Books numeration: Muhammad FuadAbdlBaqi. Beirut. Dar Al-Ma'rifah.

Ibn Ashur, M. T. M. T. (1984). Liberation and enlightenment (Liberation of significance and enlightenment of the mind; new in the interpretation of the sublime book)(in Arabic). Tunis, Tunis House for Publication.

Alfarahidi, K. A.A. B. (n.d.). Alain Book. Investigation: Mahdi Almakhzumi& Ibrahim Assmirai(in Arabic).Dar and Bookstore Al Hilal.

Alfairuzabadi, M. Y.(2005). The Encompassing Dictionary (in Arabic). 8th print. Beirut.Arrisala Foundation.

Ibn Faris, A.F. Z. Q. (1986). The Book of Generalities/Synthesis in Language. Investigation: ZuhairAbdMuhsin Sultan (in Arabic). 2nd print. Beirut. Arrisala Foundation.

Ibn Faris, A.F. Z.Q. (1979). The Principles of language. Investigation: Abd Salam Muhammad Harun (in Arabic). Beirut. *Dar al fikr publishing.*

Alqadai, A. M. S. (1986). Musnad Al Shahab. Investigation: Hamdi Salafi (in Arabic). 2nd print. Beirut. Arrisala Foundation.

Saiyyid, Q. (1989). DiwanSaiyyidQutub. Compilation and Documentation: AbdlBaqi Muhammad Husain Tuhami(in Arabic). 1st print. Al Mnsura. Al Wafa House for Publication.

Saiyyid, Q. (1412 a.h.). In the Shades of The Quran(in Arabic). 17th print. Beirut. Dar Alshuruq.

*Ibn Kathir, I.U. (1976).*Life of the Prophet Muhammad: Extract from The Beginning and The End *by Ibn Kathir. Investigation: Mustafa AbdlWahab. Beirut, Dar Almarifah for printing, Publication and Distribution.*

Almaraghi, A. M. (1946). Almaraghi interpretation (in Arabic). Egypt. Mustafa Babi Halabi press and bookstore.

Muslim, M. H. N. (1997). Sahih Muslim. Investigation: Muhammad FuadAbdlBaqi(in Arabic).1st print. Cairo.

Almatrazi, A. F. N. S. A. (1979). The Broadest in the arrangement of the Arabicized. Investigation: Mahmud Fakhuri and Abd Hamid Mukhtar (in Arabic). 1st print. Halab. Usama Ibn Zaiyd Bookstore.

Almusili, A. A. (1984). Musnad of Abi YalaAlmusili. Investigation: Husain Asad. (in Arabic). 1st print. Damascus. Dar Almamun for Heritage.

Almaidani, A. M. (n.d.). Collection of proverbs. Investigation: Muhammad Muhyyi Din Abdl Hamid (in Arabic). Beirut: Dar Almarifa.

Ibn Manzur, M. M. A.(1414 a.h.) The tongue of the Arabs(in Arabic). 3rd print. Beirut. Sadir Bookstore.

Annamari, A. U. Y.A.A. Q. (1992). The most inclusive in the recognition of companions. Investigation: Ali Muhammad AlBijawi(in Arabic). 1st print. Beirut. Dar Aljil.

Annawawi, A.Y.S.(1392 a.h.). The Methodology in the explanation of Sahih Muslim Ibn AlHajjaj(in Arabic). 2nd print. Beirut. Dar of Revival of Arabic Heritage.

Alharawi, A.Q.S.(1396 a.h.). The unfamiliar tradition. Investigation: Muhammad AbdAlmuid(in Arabic). 1st print. Beirut. Arabic Book House.

Alhaiythami, A. B.A.B. (1412 a.h.). Collection of additions and source of benefits (in Arabic). Beirut. Dar Alfikr.

Ibn Hisham, A.H.A. (1955). The prophetic life story. Investigation: Mustafa Saqa& Ibrahim Al Abiari&Abd Hafiz Shalabi(in Arabic).2nd print. Egypt.*Mustafa Babi Halabi press and bookstore.*

Alwaqdi, A. M.U.(n.d.). The military campaigns of the Prophet(in Arabic). The Comprehensive Bookstore.

Ministry of Awqaf andIslamic Affairs – Kuwait. (1404-1427 a.h.). Kuwaiti Encyclopedia of Islamic Jurisprudence(in Arabic). 2nd print. Kuwait. Dar Al Salasil.

Alyahsbi, A.M. (n.d.). The most sparkling of the authenticathars (reports)(in Arabic). AlmaktabaAlatiqawadaratturath.

Alyamari, M. S.N. (1993). The outstanding in the arts of the military campaigns of the Prophet, the attributes and biographies. Commentary:Ibrahim Ramadan (in Arabic). 1st print. Beirut. Dar Alqalam.

Electronic references

Arab Opinion News agency. Retrieved from http://news.mkomarab.com/